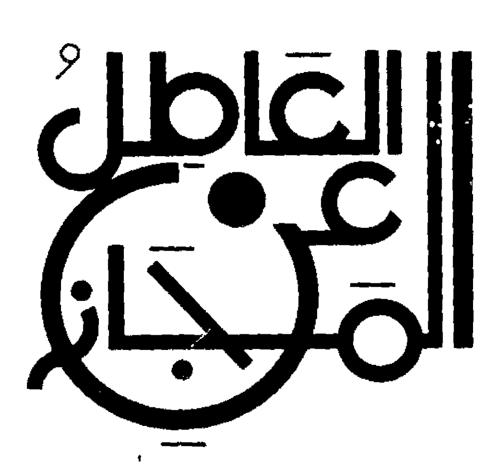
بابكر الوسيلة سر الختم

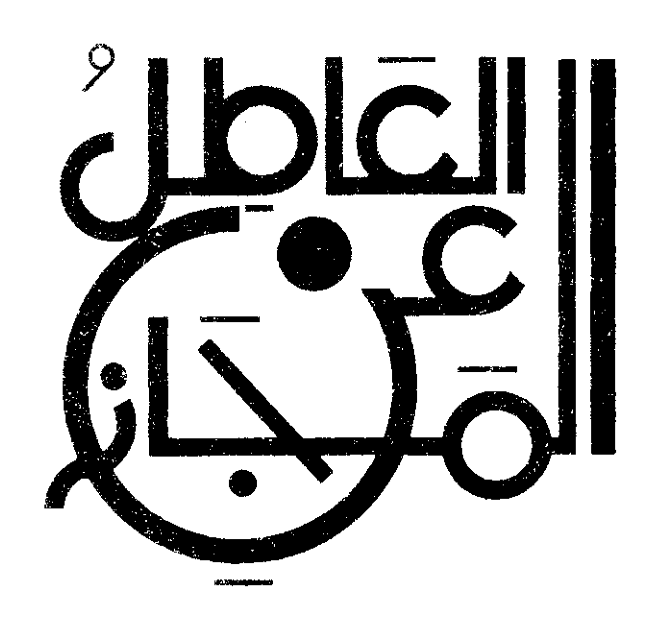




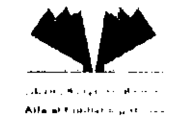




المرتضى
للكتب السودانية




بابكر الوسيلة سر الختم



2018




دار الفال للطباعة والنشر

Alfaal Publishing House

811.9624 بابكر الوسيلة سر الختم، 1967

العاطل عن المجاز: ديوان شعر/ بابكر الوسيلة

سر الختم ــ الخرطوم :ب، و. سر الختم، 2018

265 صفحة 20 سم

ردمك ISBN 978_99942_1_330_6

1- الشعر العربي - السودان

أ.العنوان

العنوان، الخرطوم

هاتف 0123881829

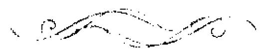
بريد الكتروني

Alfalpublishing@gmail.com

ص.ب 11002

لوحة الغلاف: معز [illegible]

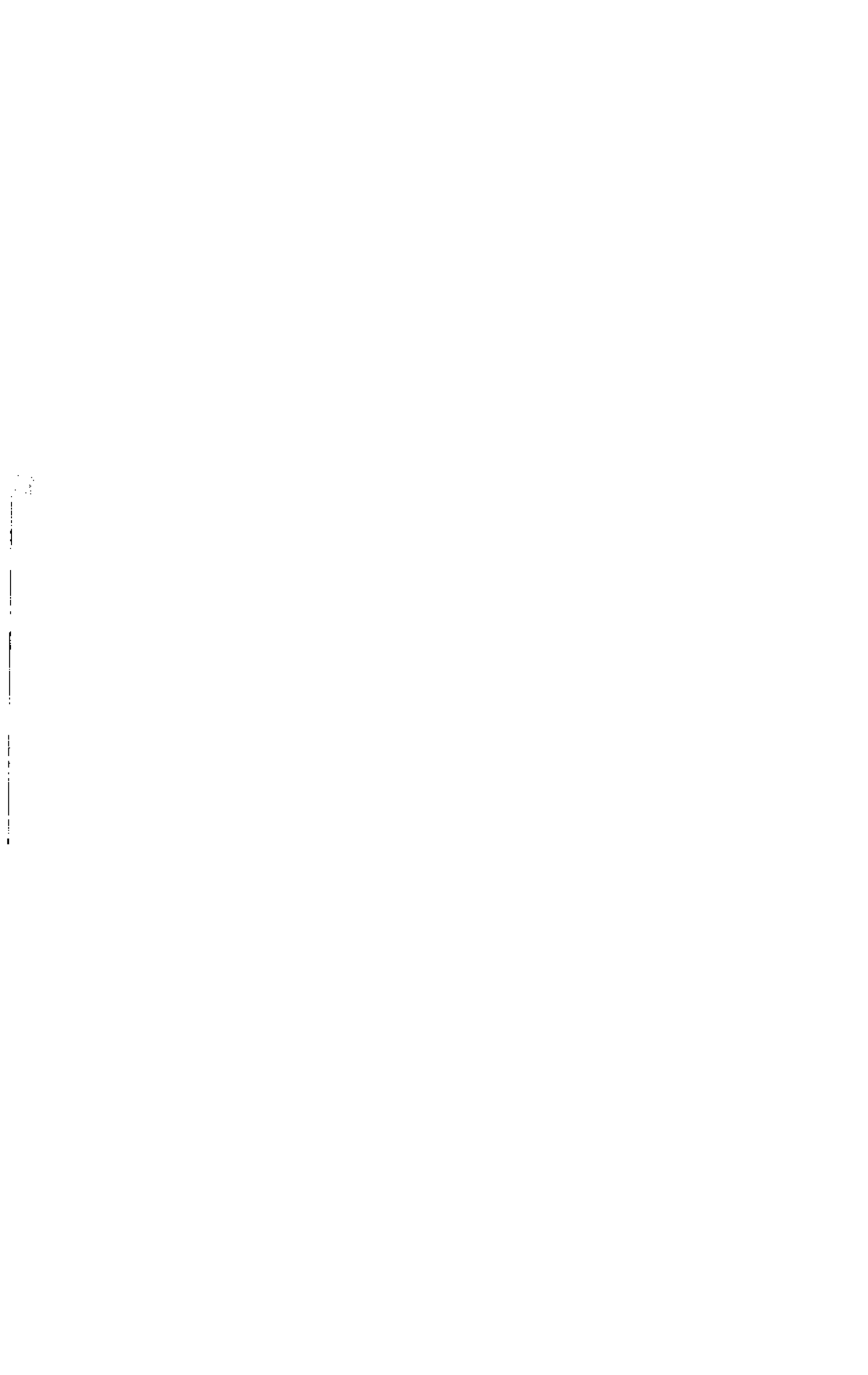
تصميم: معمر مكي [illegible]



# العَاطلُ
# عنِ المَجَاز

آسيا،

كُلُّهُ إلى آسيا،كُلُّهُ.



لا ضوءَ لي،
ولا قُوّةَ إلّا بهذا الوطنْ؛
فلأُقاومْ إذنْ.

دائماً
أَكتُبُ الشِّعرَ
تحت تهْديدِ صوتِ الحياة.
أُكتُبْ!
وإلّا ستَفقدُ قُبلتَها الغَجريّةَ هذا الصّباح.
ضَع النَهْر فوق السّرير!
تَمايلْ قليلاً حتّى تَبلَّ الجَناح!

لا
ثُمَّ
لا،
نعمْ، هكذا تُكتَبُ الأُغنية؛
هكذا تُوْرَدُ
الذِّكرياتْ.

يا حبيبي!
كلُّ ما قُلتَهُ قِيلَ
في غايةِ الوردِ،
في غابةِ المُستحيل.
لكنَّ الكلامَ على السِّياقِ،
الكلامَ عنِ النَّهرِ؛
في عميقِ
العِناق.

كُلُّ ما قِيلَ قِيلَ
(كتاب)
لكنَّ العِبارةَ في الحقْل،
لكنَّ الثِّمارَ بعيدةٌ..

لكنَّ الزَّنجبيلَ وحيدٌ على قهوتِكِ الضُّحَويَّةِ
تحتَ الحبيبِ المُذاب.

كيفَ سأَفتَحُ
أُفْقَ العِبارة؟!

سأَرقُصُ في المسْرَح العاري؛
وأَنا أُمزِّقُ بِاحياتي
السِّتارةَ
تِلْو السِّتارة.

كما تَرى: في دَورة

اللحظة ذاتِها

**فمٌ**

**في فم**

وراءَ شجرةٍ في الطُفولة؛

نَشيانُ يَركُضُ..

تَنفُشُ اللحظةُ رِيشاً وتُغنّي.

دَمٌ يَخلَعُ دمَهُ.. في الليل يُمزّقهُ ويَحِنُّ إليهِ.

في اللحظة ذاتِها؛

تَهبُطينَ عليّ،

على كلِّ ما لا يُمَسُّ.

مِنْ أيِّ غيمةٍ تَشهّقتِ فيّ؟!

مِنْ أيِّ غابةٍ اقتلعْتِ شَوكةَ هذا الحنان؟!

ومِنْ أيِّ ريحٍ جاءتِ العاطفة؟!

أَقولُ لكَ:

الأبديّةُ هيَ هذه اللحظةُ؛

جدولٌ يَغسلُ الرُّوحَ عنْ كلِّ معنى،

طائرٌ يَحُطُّ على قُبلةٍ ويُغرِّدُ..

هذا التّوحُّدُ

رُغم الثّنائيِّ في الذكريات.

الأَبديَةُ أَنت، أَنا

وبينَنا شيءٌ

مُحَطَّم.

**أَنا الآن في البيتِ،**
**لا شيءَ أفعلُهُ**
**مُطْلقاً.**

لا شيءَ..
لا أَلعبُ بالرَّملِ على جسدي،
لا أَهُشُّ الذُّباب،
لا أُغنّي لصُورتها في إطارِ الغياب،
لا أُغنمُ بالدَّمع،
لا أَحلُمُ،
لا أَغسلُ قلبيَ مِنْ غُبارٍ قديمٍ،
لا أَفتحُ البابَ،
لا أَستأنسُ بالنّمْل على الحائط،
لا أَذكُرُ أيَّ إلهٍ،
لا أَتذكَّرُ اسْمَ بلادي،
لا أَنامُ،

لا أُشاهدُ فيلماً على شاشة القتْلِ،

لا أَرقُدُ فوق الخيال،
لا أَتمنَّى لزهْرة،
لا أَقرأُ شيئاً ولوْ خيطَ ذكرى،
لا أَسمَعُ،
لا أكتُبُ،
لا أَتأَمَّلُ الحائطَ، دمعةَ الحائطِ،
لا أَرى صورةَ البيت في البيت،
لا أَقولُ لنفسيَ: أُفٍّ،
لا آكلُ،
لا أَشرَبُ،
لا أَتنفَّسُ،
لا أَعرفُ مَنْ قاتلي،
لا أُحبُّ،
لا أَكرَهُ،
لا أَذمُّ البعوض،

كانتْ من «الدّينكا»
وأنا ابْنُ هذي الدُّروب.
وُلِدْنا
معاً،
نمونا كعُشبِ الشّوارع داخلَ إنسانِنا،
كبُرْنا..
علَّمْنا الغناءَ سرَّ الجداولِ في الرّقصِ،
تَعلَّمْنا بالنّبالِ الحُروب..
أَحببْتُها - ليس كمِثْل الكثيرين طبعاً -
فأَحبَّتنيَ حقّاً..
لكنّني حين همَمْتُ بتقْبيلها؛
باتَ فَمُها..

في
أعالي
الجَنوب.

أطفأنا في الخارج
صوتَ العالَم..
في الماء خَلقْنا للنّهر لساناً وعُيُوناً،
وخلقْنا للأَرض حَناناً،
ورقصْنا في سَكَراتِ الموتِ، تَقرْفَصْنا.
خَشْخشْنا الذّاتَ القُصوى؛
حين مَشَيْنا في الصمتِ
إلى
أسفلَ،
غِبْنا في الإسْتبرَق..
خلَقنا عُمُراً في اللحظةِ،
رائحةً في اللون،
وبِتْنا محْضَ دُخانِ الْتقَيا
في هذي الذكرى التّجلسُ قُربَ النّهْر.

تَتَعثّرُ في الطَّيْش قصيدتُهُ،
تَتبعْثرُ مِنْ قلبه الأَبديَّةُ..
الشّاعرُ الحقُّ
لا يَعرِفُ دَرْبَ الحقيقة،
لا يَنتهي في المَجاز..
الشّاعرُ الحقُّ
ضال.

**العالَمُ**

**ليس هنا فقط..**

فِي مكانٍ غيرِ هذه الأَرضِ؛

سنجلِسُ تحت شجرةِ الإنسان يا حبيبي،

وسنَشربُ ما طابَ لنا من حياةٍ؛

طالما هذه الثّمارُ

حُرَّةٌ في اخْتيارِ الجُذُور.

طالما نتذّوقُ الذكرياتِ بالشّعر،

وننمو سَواسيَةً

بِطينةِ أَسمائنا

في سماءِ الحديقة.

في الغابة،
كانتْ ثمَّةَ امرأةٌ ترعَى أَصابعَها
وكانتْ يداها مُلطّختَينِ بذكرى الرِّجالِ الكثيرينَ
الذين مرُّوا على زَرْعها.
كانتْ تُعارِكُهمْ،
فيَنْسحِبونَ إلى ما وراء شَهَواتهمْ.
امرأةٌ وحيدةٌ في الغابة العاطفيّة،
تُزهِرُ بامرأةٍ
في كُلِّ
حَبّة
حُبْ.

خلَعْتُ جَمالي

( بعدَ عِراكٍ خفيفٍ معَ الشِّعْر)

وعلّقتُ وجهي أَمامي (على حبْلِ لوركا).

تأَمّلتُ أجملَ عينينِ سُودانيّتينِ

-منذُ بَدءِ الخَليقة-

لكنّ (ريلكه ) أَتاني مِنْ الخلْفِ،

وهْو يَعصُبُ عينيّ دون تَناصٍ،

ودون التأَمُّلِ في لَوحة المتنبّي الأَخيرةِ؛

في الطّابقِ الأَوّلِ

مِنْ خيالِ

(الدُّوش).

على فارغِ
العالميّ..
الرُّوحُ سِرْبُ دُمُوع،
والرَّجُلُ ماءٌ مُكسَّرُ النَشْوةِ..

تَعْرِفُ ياصبيُ
أَنتَ يا وَشيكَ الوداع:
النارُ تَنزِفُ مِنْ أَحشائكِ.

أَنتَ مَحْضُ
حربٍ
خاسرةٍ،
محضُ مِيْتةٍ في صيفِ أَهلِكَ.

................

كنتَ وَلَداً
في حصانِ الحياة،
بِنتاً في قلبِكَ النّاشطِ؛

ولكنّ..
هُوَ هذا الصّباحُ:
(كَوْمةُ ذكرياتٍ في نظَرِكَ)
لا تَرَى سِرّكَ
في الأَرضِ يَسْري،
ولا هُمَا عيناكَ في أَحَد.

كلّما ذهبْتَ..
سقطَتْ أَيّامُكَ في الوَحَلِ،
وصارتْ رأْسُكَ عندَ حَصَانِ الحالِ.
تلقّيتَ أَكثرَ مِنْ طعنةٍ
مِنْ خَنْجر

الزّمن..

ما مُتّ؛

لكنّ الحياةَ فارقتْكَ..

وها أنتَذا تسعَى في الأوهام.

تلقّيتَ مُنذُ حتْفك الأوّل؛

حَرْفَكَ بهُدُوءٍ..

وتُغذّيك الرّغبةُ الأليمةُ

في السُّكوتِ على سَهْل صمتِكَ

أيُّها الرّجُل.

أنتَ «أُحُدُ» جبالِ الصّبْر في أرض التّمسُّك؛

طالما أنتَ بهذا الاحتمال،

وهذه العُذُوبة.

يَنبُعُ مِنْ أطرافك يا عَذْباً،

شلّالُ الأمَل..

طالما أنتَ بهذا الخريف،

وهذه الظّرافة؛

طالما أنتَ مَيْتٌ؛

وترمِي عَنَ جَثتك الوسيمةِ ازهار الحب.
أَنتَ أَحَدُ أَنهار بلدكَ..
يُغذّيك الجفافُ؛ فتَكبُرُ في نظَر البُحَيرةِ
أَنتَ يا كبير.
ولهذا أَنتَ هكذا: محضُ

حربٍ
خاسرةٍ
وبقايا ذكريات.

..................

كنتَ ذا سرير أَخضرِ الفُحُولة؛
لكنّك مُتزوّجاً بالغنيمة؛
تنامُ حالماً في جُثمان الآخَرين.
تقولُ القصيدةَ؛
وتَسكُتُ عنْ آلافِ البُحيراتِ من الشّعْر
في جسدك.
تَسكُتُ عنْ لحظة الحقِ؛

عند أوّل كأس؛
طالما حياتُك كأسٌ
صغيرةٌ
وفارغة..
تَشربُها باطْمئنانٍ مِنْ غير رَغْبة.
حوشُك خالٍ مِنْ بقايا الصداقاتِ،
ومِنْ صَحْنِ الجيران،
ومِنْ مُشكلة الحُب.

أَهْلُك رحلُوا جميعُهمْ
قَريةً قَريةً؛
وها أنتذا:

محْضُ
حربٍ
خاسرةٍ.

مَحْضُ مِيْتةٍ كَسُولةٍ
فِي صيفِ
الأيَّام.

فِي مِثْلِ هذه الظُّلمةِ،

لا تَفتحِ النُّورَ!

دَعِ الظَّلامَ يَتأَمَّلُ بُستانَه في هُدُوءِ يدَيْهِ،

دَعْهُ يُقبِّلُ عينيكَ سِرّاً!

ربّما أَهداكَ ضَوءَ السبيل.

الكلْمةُ
شمْعةُ الخطابِ الوُجُوديّ؛
لا تُطفئْها بالصُّرَاخ!
وسّعْ لها الصّمتَ!
افتحْها على الليل!
وبادِرْ بالجُلُوسِ على ضَوئها في أَدَب!

رَمَتْ بيَ الريحُ في الغابة؛
إنَّها فُرصةٌ لأَشدوَ باليأْسِ في دمِ العالم.
كمْ هيَ الأَرْضُ
مسكينةٌ بالإنسان وسافلة!

هيَ فُرصةٌ لأَطرَبَ ملءَ أَجنحتي،
وإنْ كان لابدّ لي منْ حديقة؛
فحديقتي صارتْ حَطَباً
لرُعاة الأَسَى
منْ كلِّ بيت.

حَشَرةٌ
أَنا

مُنذُ تركْتُ الخُدودَ نهْباً
لخُطُوط النّاس.

مُذْ رأيتُ السّماءَ بِلا غُيُوم،
والأنهارَ تأْكُلُ أَسماكَها بِلا موجةٍ.

حَشرةٌ
أنا
منذُ أكثرَ مِنْ حربٍ في الفانُوس،
والكونُ «راكُوبةٌ» في قلب الرّيح..
مسكينةٌ
هي الأرضُ بالإنسان
وساكِنةٌ.

......................

ها
أنا الآن
أَقَلُّ تحسّساً من الأمل،
في عتَبة لا تصعُدُ،
إنّما تَمشي وحيدةً في الدّهْليز.

أغنى توحّشاً مِنْ مَلِكٍ يَرعَى
قُرْبَ الحُرّاس.
أعمقُ نَبْعاً،
وأَعزُّ دمْعاً مِنْ شاعرٍ وحيد.

أنا
ليلٌ واسعٌ من المَغْفرةِ
للضّوء.
لا نهارَ من الذُّنوب في المُستنقَع.
فانُوسي مُزدحِمٌ، في كلِّ ليلٍ،
بالرّقص في حفْل
كَوكَب.
(الحشراتُ تَعشَقُ اللّيلَ
لأَنّها تُحبُّ الإضاءة)

فتَعلَّمْ يا بْنَ آدمَ!
تَعلَّمْ أيّهذا المُتوحِّشُ،

يا فاحِشَ الرِّماح!

حَشَرةٌ
أَنا
وأَعيشُ على صوتي ويَدَيَّ الله.
لا أَعرِفُ ما اسْمي، مَنِ اسْمي
ولا يَهُمُّ.
في
كلِّ ليلٍ
أُناجي جُذُوري
لِتغفرَ لي
إِنسانيَ الذي تَركْتُه ما وراءَ الطبيعيِّ.

حَشَرةٌ
أَنا
رحيمةٌ بالذكريات،

لكنّها لا تَغفرُ البيتَ بِلا حديقةٍ،
لنْ
تَغفرَ
الحَديقةَ تَرعَى في الوَحْشةِ،
والشّاعرَ في الشّوْكةِ.
لنْ
أَغفرَ
للإنسانِ.

الإنسان: يا لَهُ مِنْ عاقلٍ
عالقٍ في نقْصِهِ الأبديِّ!
- محْضُ مُصطلحٍ ميّتٍ
في لُغةٍ مُعْضلةٍ-

الإنسانُ!
يا لَسعادةِ الدُّودِ بالإنسانِ!

مسكينةٌ
هيَ الأرضُ، مسكينةٌ.

...............

رَمَتْ بيَ الرِّيحُ في الغابة..
أنا لستُ ابنَ طُفَيل
( ابنُ طُفَيلٍ كان أُكْذُوبةً)
أنا حَشَرةٌ جَماليّةٌ مِنْ كَونِ الفانُوس،
**وصوتٌ**
**لا يَفْنَى.**

لا شِعْرَ في الرُّوح،
فكيفَ سأَكتُبُ رُوحَ القصيدة!

هوَ

النّيلُ

شريطٌ من الماء

أشرَبُهُ والسّلام.

ضاعَ كلُّ الكلامِ الذي بيننا،

في النّهرِ الذي ضاقَ عنهُ الكلام.

أصدقاءُ من العارفين بالنَّجم،

في مُتُون الظلام.

العاشقونَ كالوَرْد،

تَتفتّحُ أشواقُه في الخُطَام.

الحافرون مَساءاتِهِمْ كي تُضيئَ المَسام.

أصدقاءٌ،

رجالٌ من الطّين؛

(وتُربة فَيْضِ النّساءِ عليهِمْ)

نساءٌ من الماء؛

كلُّ شيءٍ
وحَيّ،
شَهِيّ الغَرام،

هُوَ الليلُ
أَسْهَرُ حتى يَنام.

لبستُ
جَدْولاً
تَسيرُ به الأَرضُ معي في مَشيئةِ الاخْضِرار.

لبِستْني قصيدتُهُ إذْ تَعثَّرْتُ في الصحراء،
فجاءتْ قوافلُ الماء مِنْ يديْ..
جاءتِ الطبيعةُ
عُرْيانةً،
فاكتشفتُ العباراتِ في النّار،
واكتشفتُ رُوحَ الفضاءِ بأَسرارهِ
(صورةٌ في السّراب)

-ليس ثَمّ رسُولٌ جديدٌ-
هكذا
قالت
الآيةُ الخاتمة :
ليستِ الآلةُ القادمة.

مرّةً

سأكُونُ شاعراً،

سأكُونُ شديدَ الحِرْصِ

على شُلُوخِ أُمّي في النَّظَرِ إلى الكونِ،

شديدَ الحِرْصِ على الموسيقى في كلامِ جَدّتي،

لَنْ أكسرَ نهْرِيَ البَلَدِيَّ بماءِ الحداثةِ،

لَنْ أسمحَ أنْ يقرأني السّياسيُّونَ،

ولا شُعراءُ الرّمزِ الخائبِ،

العاطلونَ

عَنِ المجازِ.

أَعرفُ أنّني شجرةٌ سعيدةُ الحظِّ
في هذا البُستان؛
فامْسكْ بقلبي!
تَمسّكْ بأوراقي يا حبيبي!
فلنْ تجدَ في الجنّة أحسنَ منّي،
لنْ تجدَ جنّةً أحسنَ منّي
يا حبيبي؛
في هذا الإنسان.

فِي المَسْنَد الليليّ
حديقةٌ مِن البُرتقال..
فِي البُرتقال الحديقةُ عامرةٌ بالرِّجال..
فِي الرِّجال مَسانِدُ يَفهمُها البُرتُقال.

أَقسمتُ بهذا البَلَد،

(وأنا حلٌّ بهذا الجسَد)

أَنْ أَعيشَ هاهُنا

إلى الأَبد،

لُقمةً بلُقمةٍ على كَبَد،

وموجةً بموجةٍ..

على شارع النيلِ والبنتِ والوَلَد.

أَقسمتُ بالتُّراب والمَتْرَبةْ..

أَنْ أَفكَّ الرَّقَبَةْ..

وأَنْ أَرقُصَ

أَرقُصَ..

في شارعٍ ذي مَطْرَبةْ..

فوقَ

رأْسِ

العَرَبةْ.

على ذكرى الكِرام،
على صمْتِ الذين مَضَوْا على الأَرضِ
تحتَ الرُّكام.
على كأْس هذا الظَّلام.
أُحبّي الذين قَضَوْا
على كاهِلِ الدّمع،
معْ كامِلِ الاحترام.
فما الفَرْقُ في الضّوءِ؛
يُقدّمُ أَشواقَهُ في الشمس،
أَوْ في الظلام؟!

يا صديقي..
خُذِ النَّهرَ مِنْ مائها!
ستقولُ لَكْ:
وكُنِ الكأْسَ قبْلَ المَلِكْ!

القطاراتُ المتوقفةُ الآنَ في «جاكْسُون»
القطاراتْ التي صارتْ حوائطَ مبلولةً،
مَطاعمَ شَعبيّةً
للذّكرى
(على أرْخَص الفُرُوض)
مراحيضَ الأمْنِ الشّاملِ الضّريبةِ.
-لأكُنْ مُباشراً جدّاً
قدْرما أَستطيلُ بالألَم-
ولتكُنْ لي قُدرةُ اليأْس
على إشعالِ فَتيلِ الحُرِّيّة!

لكنّ القطاراتِ المُتوقّفةَ الآنَ
في «جاكسون»

–ربّما إلى الأَبد–
القطاراتِ التي تَساقطتْ على اليابسة،
وسَقطتْ عنها الّلقَطَاتُ
–على طُولِ طُفُولتي–
وصارتْ غطاءاتٍ لفاحشة الغُزاة الخُضْر،
وصارتْ عَطاءاتٍ لزَنْزانةِ الذكريات،
وصارتْ قطاعاتِ حديدِ الخيال.

القطاراتُ تُلوّحُ لي بيَدِ البنتِ
التي في يدِيْ،
ودمعة
المُسافر.

أَنا الذي نظرَ الأَعمى
إلى «أَدَبي»،
فقال لي: يدَكَ الخضراءَ يا ولَدي
إلى آخِرِ الشّارعِ المُزدَحم!

(فَعَلتُها نكايةً في المتنبّئ،
وسَوْءة أَصدقاءِ الحداثة،
وسُوءِ ظنِّ البَداوة).

## إلى السيِّد الصادق الرَّضي
## أحد مُقاتلي مَعْركة «كَرَري»

بعضُ النّساء معي
شاركْنَ في» كَرَري».
كانتْ أَميرتُنا
امرأة..
وأنا أُسلّحُ أَضلُعي ببقيَّة الذكرى؛
وآه لَمْ تتذكّري..
ما كنتُ، ما كانتْ تُقاتلُ أَضْلُعي.
وأنتَ يا جسَدي..
بعضُ النّساء هُزِمْنَ فيك،
أو انْتصرْنَ عليكَ في كَرَري.
لكنَّ يا بلَدي..
لكنَّ.. لمْ تتذكّري.

في المقابر
تُضيئُ خُيُوطُ المَحبّةِ في الرّاحلينَ أكثر.
يُرحّبُونَ بزائرهِمْ في الحياة،
يُقدّمونَ له ما يَطيبُ،
يَستحلفونَهُ كي يُطيلَ الزّيارة.
فيَجلسُ مُتّكئاً
على أقربِ قبرِ حبيبٍ
( دونَ أنْ يُحسّ بطعمِ المَرارة)

يَحكُونَ لهُ:
كيفَ أنَّ البُيُوتَ هُنا
وارفةٌ بالحياة منْ كُلِّ غُصْنٍ،
وأنَّ الخدودَ مجرّدُ خيطٍ يُغنّي،
وأنَّ الشّوارع تَفتحُ فوقَ الشوارعِ
نيلاً لنيلٍ..

وأَنَّ الغناءَ هنا لا يَقولُ؛
يَسيلُ،
وأَنَّ الحكوماتِ
تَشرَبُ شايَ الصَّباحِ معَ النّاس،
وأَنَّ الخَرابَ هنا مستحيل.

**في**
**المَقابِر..**
**تُضاءُ السّتائر.**

أَنحتاجُ
نيلاً جديداً
لِنفْهمَ معنى الحياةِ،
ونِعمةَ هذا التّمازُجِ بين النّدى والغُبار؟!

أَنحتاجُ في النّيلِ
ماءً جديداً
لِنبنيَ هذا المكانَ - الدّمار؟!

أَتحتاجُ هذه الأَرضُ
شَعْباً جديداً
لنعرِفَ أَنَّ الطبيعيَّ في الناس:
جَنْيُ الثّمار؟!

أَيحتاجُ شعْبي

خَلْقاً جديداً
لِيُدركَ قُذْرَةَ الطينِ فيهِ
على الاخْضرارِ؟!

أَمْ سنحتاجُ نَصّاً جديداً
لنعلَمَ أَنْ: هذه خُطْوةٌ إلى جَنّةٍ،
وهذا خَطَأٌ إلى النّارِ؟!

إليكَ
الأوانُ المُحدَّدُ
قبلَ فَوَاتِ القَرارِ!

أَدخلتْني إحدى القصائد
في تَجربة.
وجدتْني فاشلاً (مِنْ صميمِ الكَلمة)
فمضَتْ عنْ حال سبيلي.
أَمسِ صادفتُ القصيدةَ - نفْسَ القصيدة -
قلتُ لها: جرِّبيني!
فأَعادتْني إلى قاعِ سريري،
ثُمّ قالتْ: متى يَفهمُ
الشاعرُ دِيني!

فيما يَتعلَّقُ بي..
سأنسى صُورتي في اللغة العاطفيّةِ،
أَنسى الرّسائلَ والذكريات.
إذا كان هذا النسيمُ الوَطَنيُّ
سيُوصلُني إلى بيت أُمّيَ سالماً،
دون أيِّ عراقيلَ مِنْ شُرْطةٍ أو بنات.

أَركَبُ الآنَ حافلةً..
بعضُ النّساء اخْتلفْنَ في المشْوار،
كما اختلفْنَ في أَزواجهنّ بالمشْوار،
بعضُ النّساء أنا،
وكلُّهنّ بقيَّةُ المشْوار

"أَكُلُّ التّفاصيلِ شيطانةٌ يا أَبي؟"

- نعمْ يا بْنتي.

"وحتّى التّفاصيل بينكَ، في الليل،

وبين مُلاءةِ أُمّي؟"

- نعمْ يا بْنتي.

"أَكُلُّ التّماثيل شيطانةٌ يا أَبي؟!"

- ربّما يا بْنتي، ربّما.

"وأَنا؟"

- أَنت كُلُّ التّفاصيلِ،

وكُلُّ التّماثيلِ،

وكُلّي أَنا

(يَشْهَدُ الأُكْرُوبُول).

لمْ أمُتْ بعْدُ؛

**عظيمٌ عظيم..**

يُمكنُني أنْ أكتُبَ الشِّعْرَ،

أنْ أتزوّجَ أكثر منْ حالةٍ في امرأةٍ،

أنْ أُغنّيَ نفْسي،

وأرقُصَ

أرقُص.

حتّى تتساقطَ فيَّ المشاويرُ.

يُمكنُني أنْ أُغيّرَ وَضْعي في المَرْتَبة،

وأنْ أخسرَ أكثرَ منْ ذكريات،

وأنْ أُمسرحَ هذا الوجودَ.

أنْ أُهندسَ هذا الفراغ قليلاً،

وأصرُخ

أصرُخ:

يا بنتُ كفَاكِ المُغيْرة؛
يا بلادي: الحنانَ الحنانَ.
يُمكنني أنْ أقولَ الحقيقة:
الحياةُ
جميلة.

كان لي

مَنزلٌ في دِمَشقَ

– ذكَّرني به أَصدقائي

في ليلةٍ مِنْ ليالي الحنين–

نعمْ.. كان لي منزِلٌ في دِمشْقَ.

لمْ أَكُنْ أفهمُ معنى «العُرُوبة»،

لكنّني كنتُ أَستدرِجُ البِنتَ إلى البَيت؛

بلسانٍ عَرَبيّ مُبِين.

**النّاسُ الكثيرونَ قليلونَ.**

منهمُ الذّكرى التي تَجلِسُ في (الرّميلة)
تَتأمّلُ الأَبديّةَ غارقةً في (عَطْبَرة)
ومنهمُ القُبلةُ البَدويّةُ
تحت الشجرة،
ومنهمُ الأُغنيّةُ التي تُؤلِّفُ الأَعشابَ للقطيع،
ومنهمُ الرّمادُ
الذي يُخلّفهُ الرّهْطُ إبّانَ الحُلول،
ومنهمُ الرّاعي الذي يُشوِّشُ الخَطيئة.

منهمُ الطبيعةُ في طبيعتِها..
تَجلسُ
تحت صفْصافةٍ

تحتسي كأسَ البُحيرةِ،
ثمّ تَعْرُجُ
في
الفراغ.

منهمْ أنا:
أعمى القصيدة.

أسمعُ الأغاني..
أسمعُ صوتي في خريرٍ بعيد؛
خريرِ الطُفولة، ومَجْدِ الإنسان.
أسمعُ للصّخْرِ نحيباً شاهقاً بالذكريات،
وأبكي مِنْ أجلي
على لحظة لمْ أعشْها،
على أُفُقٍ لمْ أزرْهُ،
وأسمعُ بين ضجيج الضّوءِ
(كِلْمةَ الظُلمة)

الكلمةَ الخالدةَ النّور..

أسمعُ الموسيقى..
أسمعُ الوَحدةَ تنثالُ وحيدةً؛
في أقبيةِ الوِجدان.

عَلى قهوة جَدّتكَ الخَضيرةِ
ذاتَ صباحٍ قديم..
وأنتَ بعْدُ لَم تَرشُفْ من البنت قُبلتَها
أيَةُ ذكرى ستُخلّفُ نَهراً مِن الظُلمة في شفتَيكَ،
رائحةٌ ستُعاني معَ العُمُرِعشقاً بكامله؛
كي تراها
على لحظةٍ
وتَغيب!

أسمعُ الأغاني..
أسمعُ صوتي في خريرٍ بعيدٍ؛
خريرِ الطُفولة، ومَجْدِ الإنسان.
أسمعُ للصَخْرِ نحيباً شاهقاً بالذكريات،
وأبكي مِنْ أجلي
على لحظة لمْ أعشْها،
على أُفُقٍ لمْ أزرْهُ،
وأسمعُ بين ضجيج الضّوءِ
(كِلْمةَ الظُلمة)

الكلمةَ الخالدةَ النّور..

أسمعُ الموسيقى..
أسمعُ الوَحدةَ تنثالُ وحيدةً؛
في أقبيةِ الوجدان.

على قهوة جَدّتكَ الخَضيرةِ
ذاتَ صباحٍ قديم..
وأنتَ بعْدُ لَمْ تَرشُفْ مِنَ البنت قُبلتَها
أيَّةُ ذكرى ستُخلِّفُ نَهراً مِنَ الظُّلمة في شفتَيكَ،
رائحةٌ ستُعاني معَ العُمُرِ عشقاً بكاملهِ؛
كي تراها
على لحظةٍ
وتَغيب!

في ذكرى نعينيك؛

في اللحظة هذه..

أهديك نعاسَ الأغاني،

وأدعوكِ للموت في فمي الطّازج؛

في نكْهة الشّجن الشتائيّ تحت الغطاء.

أدعُوك لفاكهة الحقيقة المظلمة،

أدعوك للرّاعي،

لوَسْواسه المُطِنّ تحت الشجرة،

لرَقْراقة تَخطَفُ منّا الكمالَ الهتُون؛

ولا أدّعي أنّني طيرُكِ الغامضُ..

أنا مَحْضُ جَناحٍ مُؤْمنٍ

بغُصْنين من الأغنية،

وسماءٍ قرَويّة.

سُرُورِكَ في البيت،

ونارُكَ المُضيئةُ للأَبديّةِ تحت عُيُوني،

نارُكَ التي تَطهو فَقرَنا

بحرارة التَعانق،

بابتسامة الغنى..

وضحكتُكِ الصغيرةُ للصغيرةِ

تحت السرير،

وأشياءُ أُخرى

كثيرةٌ بالأَمل.

موضعي في الكَيان وشَيطنةُ الوَلَد...

يا إلهي!

أَنا باهظٌ

ما أجملَ هذي الصُدْفةِ

-كوني رَجُلاً-

في حَوشِ البيت!

يُدبّرونَ لنا الدّمارَ

بالعناية الفائقة..

يُديرونَ لنا شُؤونَ الحُبِّ

في شارع النيلِ بالمِطْرَقة.

"سارقان؟"

- لا .. عاشقان.

"فتّشْ قُلُوبَهما!"

يا جَنَابُو.. إنّها سارقة.

"ماذا وجدْتَ؟"

- وجدتُ مِحْفظةً «فارقة»

فارغة.

"ثمّ ماذا وجدتَ؟"

- وجدتُ اللحظةَ «الفارغة»

الفارقة.

**في السّجن**
**شُرطيٌّ يُقبّلُ عاشِقة.**

في جَسَدي
أعرِفُهمْ
عَلَقاتٍ عَلَقات..
يَجتمعونَ لِقتْلِ امرأةٍ عابرةٍ
في السِّر.
أعرِفُهمْ
حَلَقاتٍ حَلَقات..
في بَلَدي
يَجتمِعُونَ لِقتْلِ السِّر.

في الخَميس
لا أنامْ؛
لأَنّ بلادي مَريضةٌ بالحنان..
عادةً لا أنامُ بالقميص؛
لأَنّي مريضُ البناتِ
بالخَميس.

حين أَسيرُ

يَسيرُ الطريقُ معي.. يدُهُ على كتفي.

يَصيرُ الصديقَ الوفي..

يُؤانِسُني في الكثير،

فأنسى به أَضلُعي.

نبكي معاً إذْ نُغنّي، ونَرقُصُ.

نُدحرِجُ قُدَّامَنا حَجَراً للتّبادُل،

نَشقَى بصْدر البناتِ إذا ما تَعلّقَ

بين المَضيقِ الغُبار

يقولُ صديقي: كيف قَطْفُ الثّمار!

نُغنّي

معاً؛

فالطّريقُ طَرُوبٌ

إذا ما التقى بالدُّرُوب.

شَمالُ المدى
كالجَنُوب.
شُرُوقُ الهوى
في تمام الغُرُوب.

يا صديقي الحبيب..
"متى تُحسُّ بأنّكَ بين الحُشُود وحيد؟"
- حين لا أسمعُ وَقْعَ مُظاهَرةٍ في البعيد.
"ومتى ستعرفُ أنَّ اتجاهَكَ واحد؟"
- حين يمشي في تُرابيْ الطُغاةُ،
تختفي عنْ رئتيَّ الجهاتُ،
فأضلُّ المَشاهد.
"وكيف ترى المشوارَ للأخير؟"
- لا أرَى:
إنّي خُلِقْتُ كيْ أسير.

فيما يَتعلّقُ بالبنت،
بالوَلدِ المُمسكِ يدَها،
بالقُبلة وسط الشارع..
تبّاً للشُرطة!

فيما يَتعلّقُ بالنّهر،
بالموجةِ تفهَمُ في الشارع..
تبّاً للحزبِ!

فيما يَتعلّقُ بالبيت،
بحنانِ الأطفالِ مِن الشارع..
تبّاً للشّعْر!

فيما يَتعلّقُ بالموت،
وصُفوفِ وُجوهِ الحُزْن

على الشارع..
تبّاً للثورة!

فيما يَتعلَّقُ بالثَّورة،
وخُرُوج الناس إلى الشارع..
تبّاً لحضارة «كُوْش»!

لمْ أكنْ أعمَى
حينَ جئتُ إلى أَسفلِ المدينة..
نزلتُ بثقلي المَقدُودِ منْ أسَبٍ وخرائط،
وبحذائي المُحمَّل بذكرى مشاوير
في البال لمْ أشربْها بعْدُ.
مشاويرَ الشرابِ في شنآن يومِ العيدِ النّهاريّ،
مشاويرَ طازجةَ الأمنيات،
مُهتمّةً بغُبار بلادي وعَرَقِ التّبادُل.
مشاويرَ إلى راحة الألَم القاسي
ورائحةِ الضمير.

لمْ أكنْ
أعمى.

حين رأيتُ الحُكُومة تسرقني،
-أنا المُواطنُ المَغمُورُ،

المخمورُ في باطن الدُّروب–
خَشيتُ عليها الفَضيحةَ.
كيف تَسرقُ حُكُومةٌ بكاملِها
حِذاءً أشْعَثَ مِنْ قَدَمِ شعبيّةٍ في الزّحام؟
كيف ؟!

لمْ أكُنْ
أَعمى؛ وأُصِرُّ على ذلك.

صَوتي كثيفٌ يَحترِقُ المُستقبَل بأَلفِ سنةٍ مِن
العَتْمة. كثيفٌ حدَّ احتراقِ قلبي كلِّه لمجرَّد
الذكرى.

لمْ أكُنْ
أَعمى.

حينَ جاؤوا..
لملْمنا أَطرافَنا، وذهبْنا إلى المقابر.
لمْ تكُنْ لِواحِدنا رغبةٌ في الموت. لمْ تكُنْ بيننا
جنازةٌ عبَرَتْ؛ لكنّنا ذهبْنا إلى المَقابر، وليس ثمّةَ
جُثّةٌ بيننا اكتملَتْ.

لمْ أَكنْ
أَعمى.

حين قطفَني أَحدُهمْ من الموتِ،
كنتُ في غاية الثِّمار، وأُضيءُ بالأَصدقاء.

لمْ أَكنْ أَعمى؛
ولنْ.

تَعطّلَ نَهْري

على اليابسة.

تعطّلتْ بي صُورة الرُّوحِ،

في الآية السّادسة.

هبَطَتْ بي كأْسي الخامِسة.

غدَوْتُ وحيداً

بلا أَملٍ في القيامةِ،

ولا لَمْحَةٍ في الوُضُوء..

بالضّوءِ على قَدَرِ الليلةِ البائِسة.

تَعطّلتْ

صُورةُ العالم في بُؤْرة العَدَسة.

عُدتُ إلى البيتِ
خالي البلاد.
في جبيني الوِفاض..
في جَيْبي
وَصْمةُ عارِ البَياض.

هاهيَ النّارُ تُغنّينَني،
ويَرقُصُ فيّ شبابُ الرّماد.

: اعزّ..

..ان في القرية النائية؛

.. مى بأحلامهِ في الخَلاء،

ويكتبُ شعرَهُ في هُدوء النّباتات.

مُتّسياً لشُقُوق أسرار سرَاباته في حُبّه الحُرّ،

مُستمتعاً بزَقْزَقة الخسائرِ في قلبه.

..شوقَ الطّبيعةَ قُدّامَهُ كقطيعِ أليف،

يُغنّي ويَمحو الأثَر.

صحيحٌ

أنّهُ كان يكتُبُ في الرّملِ؛

..لَ هذا الفضاء الذي يَسمعُهُ جيّداً؛

لكنّ أحْرُفَه كانتْ مُنوّرةً وسرّيةً تتعانقُ،

حقيقيّةً وأمينة.

أمس دعاني إلى النّهر،

دعاني إلى التّخلّي عَن الشّعرِ كُلّيّةً..
قال لي: كُنْ عاشقاً أوّلاً!
حتى تتفقّهَ في كلْمة الشّعر.
تجاوَزِ النّحوَ، وما دُونَ قلبِ البنات!
فهذا زمانُ عصيرِ الحداثة
منْ رُكام الحياةِ؛
فاشرَبْ
تَفضّلْ!

اكتَفَينا بالنّهْر،
اكتفينا بكُلّ كلْمةٍ صمتٍ
جاءتْ بها الذّكرى
مُحمّلةً بالأمل.
اكتفينا بالرّقص في موجة الضّوء،
حُمّى التّعانُق.
اكتفينا بالحنان في قُبلةِ الماء..
اكتفينا بنا، وذهبْنا إلى مَرّةٍ أُخرى؛
لامْرأةٍ أُخرى
مِنْ مَراعِي الأبد.

إذا كتبَ اللهُ لي منْ قصيدة..
سأصلّي لهُ ألْفَ نهَار،
لتصْوير حَضْرة الشّاعريّة:

«عَرَقُ امرأة عاريَة تَجلسُ
في حُفْرة الدُّخَان وحيدة».

لا أَستطيعُ أَنْ أَنام؛

بلادي مريضة..

تبقّتْ زُجاجةٌ واحدةٌ مِنْ دَمِ القبائل.

تبقّتْ حُفنةٌ واحدةٌ مِنْ مَصْلِ CIA

تبقّتْ قصيدةٌ عَصْماء؛

تَنتظِرُ الرِّثاء.

السُّودانُ نساءٌ
تَجلسُ الطَّبيعةُ في كفِّهنَّ،
ويُزغرِدنَ في طَلْحهنَّ بأرواحِ أجملِ الأُمَّهات..
السُّودانُ رجالُ اليوم باليوم،
حَمَّالةُ الطَّلْح،
عَتَّالةُ الذكريات.

سأَمرَضُ أكثرَ
إنْ أَحسسْتُ بالعافية..
سأَرى المَرْضَى يَحمِلونَ أَطفالَهمْ
في شارعِ القصْرِ،
أَكتافُهمْ عرباتُ إسعافٍ،
والبلادُ إلى حتْفهمْ مُسرِعة..
سأَرى الشُّهداء يَظهَرونَ قوافلَ مجنونةً،
يَتظاهرونَ بالإنابة عنّا في شارعِ النيلِ؛
يَحملونَ شعاراتِ دعواتنا للأمل.
يَحيَونَ عنّا،
ويموتونَ عنّا،
إذا ما استطَعْنا الخُرُوج.
سأَسمعُ صوتَ امرأَةٍ تقولُ لعاشقها:
مَوعِدي الذِكرياتُ،
موعدي في صميم الوُجُود،

موعدي تحت ظلِّ الزّمان.

سأُحدِّثُ صاحبتي:
ما أسوأَ شُعراءَ الجُمعة!
ما أجملَ رائحةَ
الوردةِ في وجه شهيد!

تَجلسُ

...

أيُّ مقعدٍ يَحملُ حُزنَكَ؟!
أيّةُ أُغنيّةٍ تُواسيك!
وأنتَ ترمي العالَم
في العَدَمِ الهائلِ؛
مثلَ قطعةِ ذكرى فارغة.
أيّةُ قَسوةٍ تُغنّيكَ..
بينما تَجلسُ أنتَ وأنتَ
وبينكما شيءٌ
مُحطّم!

سمعتُكَ..

لكنّ صوتَك مِنْ أثَرِ النّسْيان؛

كان بعيداً..

وكانتْ مَغارِبُ الكلمات

تَسقُطُ في شِبَاكِ الأَغاني.

سمعتُك يا أَخي..

ماذا بِوُسْعيَ أَنْ أقولَ؟!

أَنا الرّاكضُ خلْف ذكرى

بيَدٍ قديمةٍ تَنبِضُ

ليدٍ قديمةٍ تَنبِضُ..

**حنانَكَ يا أَخي!**

**حنانَك!**

صورةٌ في البحر بعيدةٌ
رأيتُ فيها صورتي قُرْبَ البحرِ،
رأيتُ أصداءَ صوتي:

بلادي
أُحبُّكِ؛
وعُمْري كلُّه لكِ يا سيدةَ الأرضِ يا خائنة..
يا رَسُولةَ الأسرار للأسرار.
عُمْري.. وأنتِ لسْعةُ النَّحْلِ في القلب.
أنتِ بعُوضَةُ القواميس،
لُغتي مَهُولةٌ في البُطانة،
مَنْهوبةُ الأنهُرِ منْ سماء الجَنُوب.
قدْ أُسمّيكِ رَجُلاً
لا.. أُسمّيكِ ضَفْدعةً.
قدْ أُسمّيكِ شجرةً
لا.. أَدعوكِ بالأندلُس،

وأَغارُ عليكِ مِنْ ذبابةٍ خضراءَ
على وجْهِ طفلِكِ.

...............

صُورتي
أَشحَذُ الأَصدقاءَ؛
صُورتي في جَنازة.
صُورتي
أَكتُبُ الشِعر؛
صورتي في الجنازة.

أَتسلَّقُ هذا النّهرَ
لأرى مِمَّا خلْفَ الأُفْقِ بلادي.
هل لاحتْ صَومَعةُ الصَّبرِ؟
هل تَتمايلُ فوق سراب التّيه،
مِئْذنةُ الثورة؟
هل فوق التّلِّ غَمامةُ «نادُوْسَ» انْهمرَتْ
في جَوْف الصَّحراء؟
هلْ؟
أَمْ
أَنّي أَعمَى.

فِي مثلِ هذا اليوم مِنْ كلِّ يوم،
أحبُّكَ يا وطني
يا سيِّدَ العالَمين.
وأكتُبُ فيكَ مواعيدي معْ زمني،
أكتُبُ منكَ الأناشيدَ ماءً وطِين..
أُغنّي،
وأَغو،
وأَسمو.
بكَ الموجةُ بَدْءاً وخَتْماً..
لكَ النُّورُ
وهذا كفَني.

أَتسلَّقُ هذا النّهرَ
لأَرى ثمّا خلْفَ الأُفْقِ بلادي.
هل لاحتْ صَومَعةُ الصّبرِ؟
هل تَتمايلُ فوق سرابِ التّيه،
مِئْذنةُ الثورة؟
هل فوق التّلِّ غَمامةُ «نادُوْسَ» انْهمرَتْ
في جَوْفِ الصّحراء؟
هلْ؟
أَمْ
أَنّي أعمَى.

فِي مِثلِ هذا اليوم مِنْ كلِّ يوم،
أحبُّكَ يا وطني
يا سيِّدَ العالَمين.
وأكتُبُ فيكَ مواعيدي معْ زمني.
أكتُبُ منكَ الأناشيدَ ماءً وطِين..
أُغنِّي،
وأغو،
وأسمو.
بكَ الموجةُ بَدْءاً وخَتْماً..
لكَ النُّورُ
وهذا كفَني.

خُذُوا وقتكمْ كلَّهُ

بألحان صلاة الكُنَافة!

خُذُوا نومَكمْ هانئاً مِنْ زَكاة النَّحافة!

خُذُوا دينَ دُنياكُمْ مِنْ مُصْحَف الأُخْرى

فاقعٌ لونُها وتَسُرُّ الوَصَافة!

خُذُوا كَعْبةَ القَصْر، وحجُّوا إلى ربِّكمْ

بين الصَّفا والرُّصَافة!

خُذُوا ربَّكُمْ كاملاً مُكتملاً،

ولا تُنقِصُوهُ صرافة!

خُذُوا الأرضَ

لوْ تأخُذونَ القيامةَ قبلَ الخلافة!

سأَلتُ نفْسيَ هذا الصباح:
ما الذي جعلَ الأرضَ سَيّتةً
في المسافة بيني وبيني؟!
ما الذي جعل القلبَ
أَوْهى،
والمُحِبَّ أَمرَّ وأَدْهى؟!
ما الذي جعلَ العالَمَ يُشْرَبُ في كأْسٍ مرَّةٍ واحد
دُون أَنْ تُحسَّ بطعم الليالي،
ولا الذكريات،
ولا طَعم هذا الخراب؟!
ما الذي جعلَ الرُّوحَ لا رُوحَ فيها..
لا قلقاً،
ولا رائحةً.
لا راحةً،

لا اضطراباً؟!
ما الذي جعلَ الأكْلَ، هذا القليلَ، حصًى وتُراباً
والماءَ دَواءً كَريهاً
والقميصَ حَريقاً هائلاً في الوطنْ؟!

ما الذي
ماتَ هذا الصباح؛
ومَنْ؟

مُنذُ

ما يَنمُو عَنِ العُمْرِ وأَعْثَرَ..

كتبتُ على البابِ نشيداً صغيراً:

(حضَرتُ..

سأَحضُرُ أَكثَر)

التي قابلتُها في «أتنيه»:
البنتُ الخضراءُ ذاتُ السُيُولةِ،
قصيرةُ السّريرِ دون سرٍ،
لُيليّةُ الأَريكةِ والخُدُوشِ،
فاحشةُ الكُورالِ في مُوسيقى الحوادث.
البنتُ صديقتي في «الفيس»
وجهاً
لوجه.

لعْنةُ
الله على الشّعْرِ بعدَ الحداثةِ،
قبلَ صلاةِ العشاء.

يدُكِ على جَبيني..
كمْ
دَرَجةُ حرارةِ وَطني؟
ضَعي يَدَكِ
على قلبي!
هلْ تَسْمعينَ هُتافَ الشوارع!
أنا أُحبُّكِ يا مَرْيمي..
فاشْربي قبلَ أنْ تَبرُدَ
حُمّى القصيدة!

وجهُكَ لا يُرى،
يُعاشُ ويُسكَنُ فيه كبيتِ طُفُولةٍ دائمٍ..
وجْهُكَ رزقٌ ونعْمة.
حَمْلةُ آياتِ العالمِ بالنورِ مِن التَّسْويات.
عيناكِ نضَّاحتان..
وأنا أستغربُ النّبعَ،
الدُّموعَ التي تَلِدُ الحدائقَ في جَوفها..
أَستغرِبُ الدّمعَ الذي يُنجِبُ البُحيراتِ،
اللآلئَ والآلهة.
**وجهُكِ**
**أرضٌ**
**مُحرَّرةٌ من الخوف.**
أَسماءُ الحُرِيَّة تجلسُ في الخدّينِ وتَرقُصُ.
وجهُكِ (القارّةُ التي لمْ يكتشفْها كُولُومبسي
الخاصُّ في المجاهيل)

وأنا أعيدُ اكتشافي
على بسْمته.

في كلِّ صباحٍ أصْعَدُ بحصاني أعالي أنفك،
أضربُ بيدَقي، وأصرُخُ في الناس بالأمَل، والناس
أتحسَّسُ الفضاءَ نحو الحُرِّيَّة، أتحسَّسُ النُّورَ نحو
باطنِ أرضِ الأسرار.
بُذُورُكِ في كلِّ ضحكة، وأنتِ الحُقُولُ مأهُولةُ
الأنهارِ على الإنسان ومُهْمَلة.
تَشتلبنَ الأقمارَ على شَعركِ غابةً، وتَرعَيْنَ
السّواحلَ برُمُوشك الغجريّة.
وجهُك مَقبَضُ بابِ الجنَة،
وأنتِ جميلةٌ حدّ لا يُوصَفُكِ هُدُوءُ ليلةٍ ساحليّة
في الزّمن.
أنتِ مجنونةٌ،

وعلى وجْنتيك سُهُولٌ مَجْنونةٌ،
وسُهُولةٌ في الوِلاَدَة.
في كلّ كلمةٍ منكِ يُولدُ طفلٌ جميل.
منْ كلّ طفلٍ
وردةٌ حُرِيَّة.
منْ كلّ وردة بُستانٌ طيرٍ يُغنّي لطيرٍ بعيد.
أَنت مشغولةٌ بالعالم، وأَنا مشغُولٌ بِكِ.
حول عينيكِ ليالٍ تُنتجُ الذكرياتُ منها الغُمُوضَ
إلى الله.. على خدّك الأيسر شَامةٌ وطنٍ للعُميان،
وأُغنيةٌ صغيرةٌ على جبْهتكِ البُسْتانيّةِ تَرقُصُ كلّ
ليلةٍ، وتُرَقّصُ الأسرار.

**وجْهُك**
**طائِشٌ يَفتَحُ العالَم.**

يا حبيبي..
دائماً حينَ أَمشي إليكَ؛
تَسقُطُ كِلْمتان منْ بين قدَمَيَّ:
القَصْدُ
والتَوازُن.

في شارع الجامعة،
إتذكر.. جَنبَ النَّفَق،
قبلَ عشرين عاماً
قبلَ نُموِ الطفابيع في ضفةَ النيل،
بالشكلِ الذي يُؤسّس شُرطةً كاملها للحنان.
مسكتُ يدَك
وكذا أنتِ أرحتَ العصافير.
عبرنا الشارعَ كأيِّ قطّينِ أليفينِ
لا يشربانِ لبَنَ جارهما
ولا يَموءانِ سوى بالإلفةِ الداخليةِ للكافيتريا
كآلاف قططِ الطُّلاب،
فيما كان النفقُ مضيئاً بأسرارِ الأيادي.
الآن يُمكنني أنْ أتذكّرَ
كم كنت مخطئاً في الإشادة بك، والتعبيرِ عن
يدك الدافئة المُفردات،
مما كلَّفني كلَّ هذا السودان.

في المساء..

على شارع النّيلِ جلسْنا؛

وليس في البال أدنى حُكُومة.

سَكِرْنا كأَنْ لمْ تكُنْ مِنْ حُكُومة.

غنّينا.. رَقصْنا

كأَنْ لمْ تكنْ هناك حُكُومة.

جاؤوا - كأَنْ لمْ تكُنْ منْ حُكُومة.

وَضَعُونا وليلَ الحَرَاساتِ؛

كأَنْ لمْ تكنْ مِنْ حُكومة.

في الصباح قالَ قاضي الحُكُومةِ،

«ووضْعُ الدّراساتِ أمامَ عينيه

يَشي بالحُكومة»:

حَكمْتُ عليكُمْ:..................

جُلِدْنا

دَفَعْنا

كَأَنْ لمْ تكُنْ مِنْ حكُومة.

في المساء
إلى شارع النّيل عُدْنا
جلسْنا..
سَكِرْنا..
رَقصْنا..
كَأَنْ لمْ تكُنْ مِنْ حُكُومة.

سأموتُ من الفرح..

- صِرتُ أَشعُرُ بالحُزْن، وأَبكي في الأَعالي.

- صِرتُ أَسمعُ أُغنيّةً مِنْ بعيد،

وأَنتظرُ العافية.

- صِرتُ أَغسلُ وجهي على وجهها

شفافيَةً

وانتصاراً.

- صِرتُ أَقرأُ ما تَكتُبُ مَوجةٌ في الخيال،

وأَرقُصُ في خيط ذكرى حَمامة:

بلادي ستأتي

ستأتي بلادي

وقلبي فَراشة.

صمتُكَ شِعْرِيٌّ
مِنْ وَتَرِ عُرُوقِ الظُّلمة؛ كان.
وكنتُ أَنَا: الكَمنجةُ البعيدةُ؛
أَراهُ، خلسةً،
يَتسلّلُ بين مَضارِبِ الضّوءِ في الكونِ،
ويَرمي للحُرِّيَةِ زهرةَ النِّسْيانِ،
وذكرى الأُغنيةْ.

**صمتُكَ..**
**غريقُ دمعةِ العِلاقة.**

تَربّعَ وجهي، على أيّامِكَ تلك،
عَرْشَ الوَقار..
بينما كان قلبيَ جَرْدلَ ماءٍ
للظاميءِ مُنتصفَ الحُبّ.

نسيتُ الآنَ اسْمَك..
نسيتُ الظهيرةَ عاريةً
والعَرَق.
نسيتُ الشُبّاكَ المكسُورَ،
والطّابقَ الثاني مِن الأُحلام والإلِفة.
نسيتُ الكأْس الأُولى..
نسيتُ الذكرى ( خِفّةَ النّسْيان)
إنّما؛
كيف أَنسى
الزّقْرقَة !!

يا ضُلُوعي..
صار تُرابُ التّواريخِ أصفرَ.
صارتْ سُقُوفُ اللُحيْظاتِ هشَّةً
(ربّما تَنهارُ في هذه اللحظَة)

فدعِينا نحتمي بالعناق،
نحتمي بالتّداخُل في كُلِّ قُبلة!
دَعينا نَغرِسُ أشواقَنا
في تُراب لحظتنا الأبديّة هذه!
نُغنّي وننمو بطيئاً بطيئاً
في عُمق مُفْردَة العالَم بالضّبط،
كجذْرين مُختلفَين في الميثولوجيا
ومُؤْتلفَين في لحظة
الهاويَة.

دَعينا نُحبُّ ونسعَى؛
لا أقَلّ!

ما الشَّعرُ؟

- يا مريمُ ابتهجي بأناشيدِ أطفالنا
وافْتحي البابَ حتّى يَعودَ المُهاجر!

ما الشّعرُ؟

- قال المُعلّمُ:
نظّفوا الشارعَ حين تَجيئُونَ إلى الدّرس!

ما الشّعرُ؟

- كم لحظةٍ سينتظرُ البرْقُ
حتّى تُضاءَ الحياةُ؟

ما الشّعرُ؟

-الذُبابةُ فوق سريرك،
ساعديْها كيْ تنامَ الضُحى بأمان!

ما الشّعرُ؟

- لا أعرفُ أينَ سأذهبُ؛
لكنّني لا أتوقّفُ عند الحُدود.

ولا أَعبَأُ بالشُرْطة الداخليّة.

ما الشَعرُ؟

- ما الشِّعرُ

قال.

مِنْ كلِّ غيمةٍ
بلهْفتها للجداول..
أَلتقطُ القطراتِ الأَخيرةَ.

أَلتقطُ الأَصدقاءَ
لأَلحقَ باقي الحياة؛
أَلحقَ كأْسي الصَّغيرة.

**أُمدرمانةٌ** أَنتِ على طابيَةِ الأَبديّةِ،
في شارعِ النّيلِ عَصْراً..
تَذُوبينَ مثلَ صَبيّةٍ
عنْ آخرِ الجالُوصِ
في الصّالُون.
**حصاحيْصةٌ** في المَغارِبِ أَنتِ،
لا تُحصينَ قتْلاكِ في النّيلِ،
تُربكينَ الجماعةَ..
كنتُ انْتَحَرتُ أَمامَكِ
لولا الأَغاني،
لولا موتي البالغُ فيكِ،
لولا
صافرةُ البَنْطُون.

أَنا وأَنتِ في المَنفَى
في شارِع كَرَزِي؛
على حَجَرٍ فيه بقايا دمِ المَعْرَكة..
كُنّا نأتنسُ ونَشرَبُ الأَسرار.
لا نُكثِرُ في الماضي، ولا نَكترِثُ.
لوْ أنَّ الأَغانيَ
ستَعرِفُنا ذات يوم؛
كُنّا سنصبر في المنْفَى على الكارثة،
لوْ أنَّ المنْفَى
فيه بنتٌ تقطَعُ الشارعَ والرُّوحَ بالرائحة؛
لقُلنا هكذا حالُ البلد.

أَنا وأَنتِ في الشارع..
نَشربُ المَنفَى،
ونَسْكَرُ بالتَبادُل.

أَيُّهذا المُهاجِر
إِنْ عُدْتَ إلى البيت،
فلنْ تجدَ البابَ، لنْ تجدَ النُّورَ فوق العَمُود..
أُنظُرْ حواليكَ!
أُدخُلْ وعانقْ مَرَاياكَ في النَّفْسِ
كشخْصٍ غريبٍ
عزيزٍ عليك!
فليس ثَمَّ مِنْ أَحَدٍ بانتظارك،
وليس ثَمَّ مِنْ بلْدةٍ
في غُبارك.

الذي مضى
لنْ يَعُود.

شُكراً لشاي الصباح!
لَمذاقِ يدَيكِ
بالنَّعناع!

شكراً لأَصواتِ أكوابه،
حين تأْتينَ بهذي السواحل!

شكراً لسُكَّره في المَلاعقِ!
-أضاءَ حَوالَيَّ شكلَ القصيدة-

شكراً لأَطفالنا
يُطْعمونَ مَساكينَ أَفكارِنا
بالتَّنوُّع في الأُغنية!

شكراً لصمتِكِ رشْفةً رشْفةً

والسُّهُول في الحَبَّهان!

شكراً
لوجهكِ يَفهمُ كيفَ التُّخُوم!

شكراً
للْعنَقتَينِ عالقتَينِ كالذّكرى
على جَرَسِ الإناء!

شكراً
لهذا
العُمْر بيني وبينكِ في الطّاولة!

شكراً!

بلادي وإنْ جرّتْ حياتيَ للجحيم
جميلةٌ..
وأهلي وإنْ ظنّوا...
فها هيَ الآنَ تَظاهُرة.

.......

أرى الآنَ ظلّي على النّيل،
أرى طفلةً في مُخيّلة الشّاعرِ الطّفلِ،
وأَسْمعُ أُغنيةً ليس لها منْ مثيل.
بلادي
وإنْ جهلَتْ لُغتي
وإنْ أَجْهلَتْ لحظةً ليْ في الحياة..
هيَ الشاعِرة.

## بينَ عاشقَين

جلَستُ على قمَرٍ في شارع النيل
(وكان نصْفُ الزُّجاجة فوق القَميص)
كانتْ أشعَّتُها تُحدِّقُ في وجهِه،
وكان يُحدِّقُ في شامتها بالشُّعاع
(كان مَصْدرَهُ القلبُ على ما أظنّ)
--ما الذي فيه تُحبِّينَهُ؟
- لونُ عينيه يُذكّرني بالأَغاني،
ثُمَّ أنَّ في رُوحه مَطمُورةً مِنْ حُبُوب الصّباح..
وما الذي فيها تُحبُّ؟
- شامتُها وامتلاءُ الفضاءِ على وجهِها بالأشعّة.
إنَّ تحتَ ظلّ شامتِها
يَرقُدُ شيطانُ هذا الجَسَد.
وكيف تُعبّرُ عن حُبّكَ هذا لها؟
--بالسُّكوتِ على قُبلةٍ باتعة.

وأنت؟

-أكتبُ نفسي له بالدموع في كُلّ ليلة..

ولماذا الدّموع؟

- مُضيئةٌ وتقولُ الحقيقةَ.

هل تُحبُّونَ هذي البلاد؟

- إنْ كان في النّفْس آخرُ كأْسٍ

سنشربُها معاً في الحياة.

هل تَسمحونَ لي بالذّهاب؟

- شكراً لهذا البَصيْص

- وداعاً، ولا تَنْسَ يا صاحبي:

أنَّ نصفَ الزُّجاجة

فوق القَميْص.

عندَكَ: الحياةُ بالبناتِ
عندَكَ: البناتُ بالحياةِ
عندَكَ: الوطنْ.

ما كُلُّ ما تُحبُّ
باهظُ الثَّمَنْ.

مَعَ الأُغنية

...

...

في الصَّيفِ،

في العَرَقِ اللّامعِ،

في ذُرْوةِ الخَنْجَرِ،

في قُبْلةٍ،

في تَلاشٍ

مَعَ الأُغنية.

وأنَا نسِتُ شيئاً

سِوى زهرةٍ مِنْ حَواشي الحَواسِ.

في تراب غرفة
مبتلة في هدوئي:
والسّقفُ يضربُ في الضواحي البعيدة.
ركت الأغاني،
فركَت الذكرياتُ منّي
في غُصون المعاني.
صرتُ أخ الجداول الصّغيرة للعذوبة.
صرتْ رمْزَ ابْنِ آدمَ في النّشيد الكبير للخطأ.
وها أنذا العاشقُ الضريرُ
أَضُمُّ حبيبي البعيدَ وأرقُصُ
أَرقُصُ
أَرقُصُ أ ر ق ص..............

سنَرَى في الشوارع نهراً يَطُوف،
وبيتاً يُربّي اليتامى،
وخوْشاً يُعبّرُ عن شِعرنا،
وشِعراً يُعبّرُ عن حَوشنا
ورمْلاً سيَأْوي الضُيُوف.

سنحفلُ بالأرض فيما
تُغنّي الطُقُوس..
سنعبثُ بالضّوء حتى نرى الجهْرَ يَخجلُ منّا
لأنّا وتاللهِ أسرارُ هذي الشُمُوس.

لمْ يكُنْ وحدَهُ؛

كان مُجتمعاً مع الخارج في بيته.

شاوَرُوهُ في النُّور،

قدّمُوا له ما يَربُطُ النّاسَ بالنّاس..

لمْ يكنْ مُؤمناً بالأرض؛

أكثرَ ممّا هو عليه الآن..

وهْو جالساً على ضَفّة أولاده

يَتأمّلُ الرُّوحَ، ويَقرأُ الطّالعَ في الفاتحة.

كيف يُمكِنَ أَنْ أَكتُبَ الشِّعرَ؛
في مثْلِ هذه اللحظةِ الشّاعريّة؟!

الذين يَخُونونَ لحَظَاتِهِمْ
بينهمْ وبين أَنفسِهِمْ؛
سيخُونونَ الحياةَ.

الذين يخُونونَ الحياةَ
بينهمْ وبين اللّحَظات؛
سيَخُونونَ أَجملَ الذِّكرياتِ.

الذين يخُونونَ الذكرياتِ؛
سيَخُونونَ أَوطانَهمْ..
في أَحْلَك اللّحَظاتْ.

عُدتُ إلى أَصْلي: زَهْرةٌ مُتَوحِشة.

الذين سيأْتونَ بعد قليل:
سيُلقُونَ التّحيّةَ بالعناق المُقاتل.
سيُلْغُونَ هذي الفواصل،
بين الشوارع في وعْيهمْ
وبين المَنازل.
سيُلاقونَ -حين نقومُ قيامتُهُمْ-
نصْرَهمْ بالمَشاعل.
سيُغَنُّون، أَعرفُ أنّهم سيُغْنُونَ
هذي الحياةَ بتلك القَوافل.
إعْطني
قبلةً
أُعْطكَ وطناً هائلاً بالمُقابل.

في سرعة [illegible]

[illegible] الرحلة [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

وكلما [illegible] حان وقت الصلاة

[illegible] من الشمس في سرعة [illegible]

[illegible]

[illegible] الوقت [illegible]

[illegible]

دخَلَ الجميعُ في صالة الرّقصِ
مِنْ بينِ تلك الرّائحة.

أمامَ
صالة العَزَاء
صاحَ المَيْتُ في وُجُوهِهِمْ:
الفاااااتحة!

فِي القريبِ العاقِلِ المَسْئُولِ عنّي؛
ثمّةَ نبْتةٌ أُوْلى
وصوتٌ في الجُذُور.
لا أَسأَلُ النّهْرَ وحيدَ كأْسٍ؛
بلْ أَنمو بهِ بجمالهِ،
وخَيالهِ،
وجَلالهِ،
وحِبالهِ في الناس.
أَظفَرُ بالتُّراب؛

تَرِبَتْ يَدَا
أُنثى البُذُور.

أُربّي الماء مِنْ عَرَقي

على وجهي..

أُعلّمهُ التّغلغُلَ في جُذور الحُزْن،

والانْسيابَ الحُرّ في جسد القصيدة،

والانْدفاقَ بكامل الذّكرى على الأيّام،

أَو الهُطولَ بعُنْف أُنثى فارقَتْ أغصانَها..

أُعَلّمهُ التّباطُؤَ في الدّموع

إذا يَئسَ النّدَى مِنْ زهرةٍ مُتوَحّشة..

مائيْ الذي علّمتُهُ، منذ الطّفُولة،

غيمةَ الإخوان، رذاذَ عُمّال الحديقة..

مائِي الذي أَنزلتُهُ في صُورتين:

**لغةٌ**

**ومُوسيقى.**

لمْ يمُتْ أَحَدٌ بعْدُ في العالم..

كلُّ الذين مَضَوْا

-مُنذُ بَدء الخليقة-

سيأْتونَ بالذكريات،

ويَعترِفونَ أَمامَ الحياة:

بالخطأ الفادحِ الذي ارْتكبُوهُ: المَمات.

هذه الدُنيا على قَدَمِ الدّرْويش
كمْ تَبدُو صغيرة..
إنّني أشْرَبُ هذا العُمُرَ وَحدي
في كلِّ يومٍ وكأنّهُ الكأْس الأَخيرة..
غيرَ أنّي كيفَ أنسَى..
رقصةَ الموتَى على باب المَقابرِ !

ها أنذا أحفرُ اليأسَ بيديّ هاتين.
أنا عاملُ الحياةِ الطيّبُ بلا يأس.
في الظلِّ تجلسُ خادمةُ الأمل؛ مُتعَبةً من المَقْعد.
والمَعاولُ في انتظارِ جَريرتها من الهَدْم..
لا أقوى على اليأس وحدي،
لاأقوى على الكَنْز؛
ساعِدُوني يا جماعة!

بلادي!

ستأتي المواعيدُ في البيت،

في تمام الحنان

هاكَ الأناشيدَ!

في حَوْشِنا الأَسرّةُ فوق السّرائر.

لا ليلَ أسْودَ في بيتنا..

صُبّ ضوءَ النُّفوس وغنِّ الجداول!

لا شيءَ يمنعُ أنْ نرقُصَ،

أو نتراقصَ حتى الهياكل..

ولا حولَ ولا قوّةَ إلّا بهذا النّشيد العزيز علينا..

حياةٌ ستأْتي المواعيدُ في بيتها

لأنّ بلادي أرادتْ لها ما تُريد.

حينَ خرجْتُ؛
تَرَكْتُ كفّي مُعلّقةً على مَقْبَض الباب،
لتُوَدِّعَهمْ في غيابي..

بعدَ خمسين سنةً؛
سأعُودُ إلى حائط النّمل..
سأحمِلُ كفّيَ منْ مقبَض الباب،
أُسلّمُ دون كلامٍ على مَنْ تبقّى،
وأكتُبُ آخرَ
دمعة.

لمْ أَنتبهْ للرّصاصة في جسدي..
كنتُ منشغلاً بحُشُود الجماهير في ساحة المَقْصَلةْ.
حمَلُوني شهيداً للثورة المُقبِلةْ..
وكنتُ أُغنّي لهمْ،
وأَرقُصُ في داخلي
منْ شِدّة بلَدي.

لَمْ تكُنِ الجَنَّةُ في السَّماء

حتى نطيرْ..

لكنَّها في الأرض،

ولهذا نَسِيرْ.

اللّيلُ؛
حيثُ امرَأةٌ عاريةٌ
تتكلّم الضّوءَ بطَلاقةٍ مُرْعِشة.
حيثُ رجلٌ غيرُ لائقٍ اليابسة،
يَلبَسُ لُغةً متّسخةً باللّغْو،
مُنحدراً إلى مَساءٍ ضيّقٍ في البيت.
يَحمِلُ جسداً مَغشُوشاً مِن العَمل.

كلُّ رجُلٍ
ذكرى لامرأةٍ مُهْمَلة.

كلُّ امرأةٍ
سلّةُ إهمالِ رَجُل.

الليلة الأُولى لنا في البحر.

دمعتي تَعرفُ السرَّ،

دمعتُكِ أيضاً..

غنّيْنا،

وتموّجْنا في بِساط الرّمل.

قلتُ: أُحبّكِ

قالتْ: حتى يرثَ الله هذا البحرَ.

في بيتنا الآن؛

الليلُ يَحضُرُ عيدَ ميلادِ بنتنا الثانية.

مازالتِ السواحلُ ترقصُ؛

في الليلة الأُولى لنا في البحر..

**دمعتي تَعرفُ السّرّ،**

**دمعتُكِ أيضاً.**

لمْ يَتركْني الوقتُ
لأعبثَ بالبابِ المُغلَق،
ولا النّافذةِ المُضيئةِ في قلبِ البنت،
بالطائرِ في غيابِ عميدِ الشجرة.
لمْ يترُكْ لي البابُ يديْ
لأودّعَ مَنْ أحبُّ،
ولم يَترْكْ لي ظلّي جسدي
لأمشي؛ وأنا محضُ أغنيةٍ ليستْ للأصحاب.
كنتُ منديلاً مُبْتلاً بالذكرى
على الأرضِ أبكي منْ جفافِ الصُورَ.
كنتُ مَحضَ
بنتٍ مَهْجُورةٍ
في قريةٍ مَهْجُورة.
كنتُ ولداً نادراً في حضْنِ امرأةٍ
ماتتْ في حُضْني بالرِّقة.

كنتُ وَرَقةً مَنْسيّةً

تبكي في السّلكِ الشائك للمُعسْكَر.

كنتُ الخاسرَ كلّ شيء؛

لكنّني كنتُ الرّابحَ في الحرْب.

فقدتُ العالمَ، أيْ نعَمْ؛

لكنّني صِرتُ أكثرَ ثقةً

بالحياةِ وبِي.

غنّيتُ،

ونِمتُ

في يديْ.

مَسئُولاً عَن المُستقْبلِ

في يومِ قُبْلة.

كُلُّ ما عليكَ:
أَنْ تَجلسَ قُربَ النِّسْيان..
بيدَيكَ ذكرى صغيرةٌ،
وتَرميها للظُّرُوفِ..
يا صائدَ الحياةِ
الماهرِ،
يا بارِعَ الجَوْهَرة.

أَصحابي السُّكارَى
-ضحايا جمالي-
الرِّجالُ المَليئُونَ بالنِّساء
المليئات بالرِّجال..
الحارِقُونَ كجمْرة الشَّعر طُول الحياة،
المُشرقونَ كظُلمة الذكريات،
المُشرِفُونَ على موجةِ الرَّقْص؛
في صِفاف البناتْ.

أَصحابي..

عنهمُ: الأَغاني
عنهمُ: الكَلَف.

كمْ كلمةٍ بإمكانها أنْ تكتُبَ الشّعرَ
وتُجلسهُ بين عينيها وتُفكّرُ في قتْله؟
كمْ كلمةٍ يُمكنُ أنْ تَصير صديقتي في الملاهي،
والاهي في حياة السرير؟
أنا الشارعُ المُتجوّلُ بالكأس في أيّ امرأة.
كمْ كلمةٍ ستَشْربُ نخْبي
في حُضُور السُّكوت على المَسْطَبة؟
كمْ كلمةٍ ستقولُ الحقيقةَ
دون غناءٍ، بدون عَناءٍ لهذي الأكاذيب؟
تَعبُرُني حين يَعبُرُني الجسرُ،
حين يُعبّرُ عنْ عاشقين التقَيا صَفّةً
في الوحيد من اللحظة الواحدة؟
كمْ كلمةٍ ستَسقُطْ
في لحظة الصُّعُود إلى فَمِ امْرأة؟
كمْ كلمةٍ
في
الهاوية؟

ما مِنْ شارع
إلّا وتعلّمتُ منهُ معنَى التُّراب.
حين أُغلقَ البابَ..
أَشكُرُ البيتَ على نِعمة الحُضْن؛
أَشكُرُ الله
على هذا الذُّباب.

فِي الطريق إلى الحبيبةِ،
تَنجُو المَحطّاتُ
مِن الانتظار،
ويَنجو القطار؛
مِنْ شاعرٍ مُؤْسِفٍ في غِناء الحقِيبة.

ماتَ طفلٌ على الشارع

قبل قليل..

مات نِصْفُ الحياة الجميل.

مات صَفٌّ طويلٌ

مِن الشّجر المُمكِنِ؛

في غابة المستحيل.

ومُتُّ أَنا؛

رُغم أَنّي القتيل.

نَصّانِ تداخَلا في اللحظة الغادرة
فلم أَدرِ أيّهما أَكتبُ الآن،
أَيّهما أَقتُلُ..
غيرَ أنّي
لكي لا أَظلُمَ في داخلي الشّاعرَ،
تركتُهما لِمَنْ يأتي مِن المُتردّم بعدي
لِيفعلَ ما يُريدُ على الذّاكرة.

لا أُفكِّرُ في المشْي على قدمَيَّ؛
-بلادي بعيدة.

لا أُفكِّر في كتابة هذا الشَّراب؛
يكفي حبيبي.

لا أُفكِّر في وَجهِهِ حين يبكي
على دمعةٍ مُثقَلة؛
- سمائي غليظة.

لا أُفكِّر في بلدي؛
- ما ماتَ ماتَ.

لا أُفكِّرُ في حال نفسي؛
-العالم لا يُشجِّعُ بحرارة.

لا أُفكّر في الهجرة؛
- ثمّة غُربةٌ تحت السّرير.

لا أُفكّرُ في غد؛
- اللهُ أَوْلى به.

لا أُفكّر في نَملة عقلي؛
- ستُدبّرُ المَنْظومة.

لا أُفكّر في الشّعر؛
- سأكتبُهُ على حالِه والسّلام.

لا أُفكّرُ في صاحبي؛
- سيَبيعني إنْ رأى حبيبتَه قادمة.

لا أُفكِّرُ في أُسْرَتي؛
قميصي على الحَبْلِ،
وقلبي في المَغْسلة.

لا أُفكِّرُ في الله:
– أمامي خَلْقُهُ «بالرُّدوم».

أُفكِّرُ في قهوة أُمّي؛
كيفَ تَمنَحُني كَفَّ هذا الصّباح!

لَمْ يَكُنْ سَيِّئَ الحظِّ

الولدُ السَّيِّئُ الحظِّ؛

بامرأةٍ تُراعي سريرَ الفُحولةِ

في رجُلٍ حَسَنِ الحظِّ

في امرأةٍ سيِّئةٍ.

لمْ يكنْ غيرَ أُنوثتهِ في الرِّجالِ الكثيرين بهِ.

سيِّئُ الماءِ

كامرأةٍ عابرةِ الحظِّ

في رجُلٍ حَسَنِ النيّةِ؛

لكنَّه حَسَنُ الكهرباءِ في امرأةٍ عابرة.

يَغرَقُ جسمُكِ -منْ أثَرِ الضَّحكة-
فِي ذاتِكِ..
فتصيرينَ مُجرّدَ نهرٍ
- نهرِ الرُّوحِ -
وأصيرُ البرَّ المفضُوحَ
ورايَاتِكِ.

أَجلسُ قُربَ النَهر..
ثمَةَ سَمَكةٌ تُحاولُ اصْطيادي
شَبَكَتُها: أَنا.

لمْ أَتخيّل الصُّورةَ في الليل
أنْ هكذا سيكونُ العناق.
ولمْ أتصوّر اللحنَ شاعريّاً هكذا
في حُضْنكِ الشَّعبيّ؛
كأنّي دخلتُ فيكِ إلى زُقاق.
لمْ أَبْلُغْ من الحُلْم، بعْدُ، بلادي،
في جميع الزِّقاق.

البيتُ
في أُسْرَتِه المَجْنونة،
والبنتُ الشيطانةُ في الرَّسْم؛
يَعبَثان بالصُّوَر القديمة الهائلة.
كان الحائطُ قدْ سرَقَ الأحْرُفَ الأُولى
في الصُّوَرِ الحيّة في الذِّكرى الأُولى للحُبّ.
كان الحُبُّ قدْ أَضاءَ فضاءَ الكلمات؛
بالقُبلةِ الأُولى لتأْسيسِ العائلة.

الكتابُ الذي قرأتهُ؛
وأنا بعدُ لمْ أَبلُغْ من الحُبِّ ليلةً واحدة..
الكتابُ الذي قرأتُهُ بالقلب
-أثناء حَرْبي مع اليأس-
الكتابُ المشْهُورُ بكثرة أخطاء التّحليق..
الكتابُ المعلّم للمضّاف على الحريّة؛

**كتابٌ**
**وجهِ امرأةٍ.**

فِي كلِّ ليلٍ عابرٍ للذكريات..
أُنقّبُ في تُربة رُوحي؛
عَنْ آثارِ ما خلّفْتُ مِنْ حبّي لها.
عَصْري
حَجَريٌّ،
وقلبي مائيُّ الجهاتْ.
أنا لَمْ أَلِدْ أمّاً، وأرضِي لمْ تَلِدْني؛
إنّما أُمّي
الحياة.

خُضْرةُ وجهكِ..
هذا الفضاءُ الطاعمُ الطُمأنينة
( يدُكِ في يديْ
نهرانِ للخُلُود )
وتدفُّقكِ النّاعسُ في الرّائحة..

ما كُلُّ هذا الفقرِ من الحُبّ!
ما سرُّ اليأسِ منْ تدفُّقِ الحُقُول!

الرُّعاة يُنادُونَ صوتَكِ
منْ أجلِ أغنامهم..
والشُّعراء يُناجُونه منْ أجلِ ألّا يَقُولوا..

خَضْرةُ وجهكِ يا بنتُ
وبديعُ أيّامكِ في فُسْتانِ الصّيف.

جَسدانِ في الرِّحلةِ الخائبة..

الغُرفةُ فوقَ السرير..

الحُضْنُ
ـ هذا الجمالُ البعيدُ ـ
وثمّ ليلٌ يَرى كُلّ شيءٍ
وأشياءُ
وأشياء.

ماذا تَبقّى للرُّوح!!

حُرّيةٌ بين ذِراعين
وأشواقٌ تُساقُ بخاطِرِها
إلى العُشب..

وثَمّة
رائحةٌ تُشبهُ الماضي،
ولا شيءَ فيه.

البابُ مُحكَمُ
بخُيوطِ التي أوصدَتْ..
اليَدُ التي فتحتْ بابَ حنانِها العالي
التي تقبِضُ رزقَها – مجاهلَ الأبديّة –

هلْ هذا انْهيارُكَ؟
تهوّرُكَ وانْهمارُكَ؟

جَسَدانِ في الرّحلةِ الخائبة..
ولا شيءَ
يبقى لغدٍ.

في الماء

شعْرٌ كثيفٌ

للدَّرجة القُصْوى من الظَّمأ.

تذكّرْتُ مَرْيَمَ؛

إنّي تذكّرتُ روحي فيما تذكّرْتُ مريمَ

إذ نسيتُ بلادي،

فغنّيتُ في عالي مَوْعِدِه،

ورقصْتُ بالكتابِ مع جسدي

وقلتُ له يا بلادي حين عانقتُ مريمَ.

مِنْ أينَ

تُمْطِرُ غابةُ هذا الحنان؟!

تُمسكُ بالخمْسِ يديْ،
وأُمسكُ في يدِها العالم
ونُغنّي..

ثمّةَ أرضٌ
لمْ ترقُصْ بعْدُ.

جلستُ معَ الكلماتِ وحيداً
في ظُلمةِ الكونِ هذا،
لأسألَها عنْ سِرِّها في نُشوءِ المعاني.
سكتَتْ لحظةً عنْ لحظةِ الصّمتِ،
ربّتَتْ على قلبِ رُوحي وقالتْ:
بأمثالكَ يا شاعري
تسمو الدّلالاتُ في الشّعرِ
ولا تموتُ الأغاني.

فِي كُلِّ لَيلٍ
أَصيرُ امرأَةً تبكي
زَهرتَيْها النَّائمتَينِ في حُضْنِها.

فِي الجلسةِ العائليّةِ للحُبِّ،
أصيرُ رجُلاً حقيقيّاً..
رجُلاً منْ طرازِ امرأةٍ رائعة.

مُضيئاً على العالَم..

وطني حُدودُ يَدَيْ..
حُضنُ حبيبتي بيتي،
وبندقي
قلبُ مريم.

مُضيئاً على العالم.

وجهُكِ يَجتذبُ السّوّاحَ الوَطنيّينَ
منْ كُلِّ قريةٍ.
وأنا مَحْضُ طائرٍ في عناقكِ.
أزنُ غابةً بكاملها من الزَّقْزقة،
أشمُّ فضاءَكِ الوعرَ الوَجَنات،
وأحبُّكِ بالطريقة الصّعْبة للحُبِّ (التّشابُكِ).
أنا مالكُكِ

الحزين..
سعيدٌ جداً بهذا التّألُّمِ في الطبيعة.
أرقُصُ إكراماً للماء في جُنونكِ،
للرّيح التي تأتي بما أشتهيكِ من العناصر.
أيّتها الثّمرةُ الناضجةُ الغيابِ،
دُلّيني على قلبي!
دُلّيني على أعمايَ!

ما نكرْتُ وردةً قطُّ
ولا قطفتُ قصيدةً مِنْ شجرة.

لأنّي أحبّك يا أصعب من العالم:
لأنّي أحبُّك

أعزفُ على فمك،

على الساكسفون من فُوّهة صمتك.

أعزفُ على قلبك مشدودِ الخُيوط.

أعزفُ الليلَ كله

وكأنّ الصباحَ لنْ يأتيَ أبداً.

وكأنّ العالَم مخلوقٌ منْ عدَمي المجنون.

الذاهبون إلى النّهر..
ماتوا من الجوع.

الذّاهبونَ إلى الشّعر.
ماتوا مِن اليأس.

الذّاهبونَ إلى الله..
ماتوا مِن الحُبّ.

الذّاهبونَ إلى العمل..
ماتوا مِن الطريق.

الذّاهبونَ إلى البيت..
ماتوا من الذكريات.

الذاهبون إلى الحرب..
ماتوا من الهزيمة.

الذاهبون إلى الروح..
ماتوا من الحزن.

أين
ستذهب يا مريم في هذه الغابة؟

أَصابعي- أَصدقائي وصديقاتي

كَمْ تحسَّسْنا الدُّرُوب المُغْلَقات، وأَشعلْنا الكتابة.

كَمْ فرشْنا الرّملَ بالكلمات

غازلْنا الهواءَ لكي يُعكِّرَ ما كتبْنا..

أخطأنا خُطى الرُّوح، ولكنّا بقينا في المحبّة.

كَمْ تعانقْنا جَنُوباً أو شَمالاً..

تَماسكْنا، وهدّدْنا الصَّلابة.

لكُمْ حُبّي

وإنّي لا أبايع.

لكُمْ رُوحي..

أَصدقائي وصديقاتي — الأصابع.

صامتاً عنْ كلِّ شيءٍ؛
ولكنْ بخبرةِ لوْحةِ البيتِ القديمة.
بعد قليلٍ سأفتَحُ كلَّ النّوافذ في البيت،
وأدعُها عُرْضةً لمهبِّ الذكريات.
لنْ يمُرّ ببالي أحَدٌ
إلّا وصفعتُهُ بكفِّ الشُّبّاك؛
ولنْ تمرّ تحت ظلال الأغاني ليلةٌ؛
إلّا وشتمتُها بكأْسٍ طويلة.
أنا حُرٌّ في كلّ كلمةٍ بالحرْف،
ومسئولٌ عنْ كلِّ نمْلةٍ دَهَسَتْها أَصابعُ المَلَلِ؛
وأنا أُخطِّطُ في الرّملِ
دارَ الحنان.

سأَشي بالزّهرة

للغُصن المُتداخل

في سيْرة هذا الليل من الغابة.

سأَشي بالغابة

للغابات السّرية في رُوح امرأة تُسرف هذا

الليل.........

## سأَكتشفُ

الخَاء.

اللاّمرئيُّ فيكِ يُعذِّبُني،
وأنا أراكِ
بكلِّ موسيقايَ التي خلقَ اللهُ إنسانَها في دمي
أنتِ غامضةٌ مثل لحْنٍ جميل،
وواضحةٌ كرقصةِ أُغنيةٍ أمامَ مَراياها.
شرّيرةٌ أنتِ، تملكينَ مَلاكاً
تملكينَ بهِ النّهرَ في كلِّ دفْقٍ إلى العالَمين.
أنتِ شغّالةٌ بالأمل؛
وأنا أُحبُّكِ جداً لهذا السّبب.

في النّهر
(ربّما في البرّ)
تجلسُ فكرةٌ
تحدّثني عنْ مَرحها الأعمى في الحياة
(كانتْ ترقُصُ تعبيراً عنْ ذلك)
وكنتُ أنا مُندمجاً في الضّفاف..

أُفكّر
في الأبديّة،
وفي الفكرةِ التي تجلسُ الآن أمامي،
في وجْهِ امرأة.

سمعتُ البحر يقولُ لي :

قبِّلْها، وقُلْ ماتستطيعُ مِن السُّكُوت على شفتَيْها !

قلتُ : إنّ الله لا يَرضَى بهذا العُذْرِ

(مَوْجةٌ في مَوجتَيْها )

قال : إنّ الله يَرْضى بالقليلِ

مِن الحَسَنات منكَ (شفاهةً منْ شاطئَيك )

قلتُ : هذا اللبلُ بالتّحديد لِي .

أقرأ النّسيانَ

بالذّكريات الجميلة..

في كفّي

خيوطُ جَلسة القهوة بالإرتباك.

في فمي الكتابُ صاحياً

يسألُ عنْ حالة الشّعر بالدّاخل.

في قدميْ حَصاةُ أُغنية تَرقُصُ في مزاج الشّاي.

بلدٌ سيأتي بامرأة إلى البيت.

النّعْناعُ عُشبُ الحُب،

وشارعُ النّيل غارقٌ في الفلْسفة.

كلُّكمْ

شُعَراء.

قديماً قيل إنّ الحبّ يقتُلْ..
وإنّ الزُّهورَ إذا تركتْ حديقتَها الأُولى
تذُوبُ وتذْبُلْ..
وإنّ الطّيورَ إذا غادرتْ أعشاشَها تسْهُلْ..
فها إنني ها هنا،
وهُنا منْفايَ،
وهُنا شعْري الذي صادفتُهُ يَعمَلْ.
أحبُّ بطيئاً
بطيئاً كموتي وأملْ...

كأنّ أَحَداً بداخلي

معي يسير..

كأنَّ كلْمتي تقولُ كلْمتين:

كلْمةً له،

وكلمةً لوَخْزةِ الضّمير.

جالساً في البيت؛
في عُمق امرأةٍ تعمَلُ الرُّوحَ بخَطَبي.
أتأمّلُ بلدي،وجهَها الجميل،
وأتأسّفُ جداً
أنّني أعرفُ النّهايةَ؛
لأنّني أعرفُ شجرةً
في أقصى الغابةِ المُوْحشة.

أَعرفُ أَنَّ ثمّةَ بقيةَ ماءٍ في النيلِ،

سيُحْيي شَعْباً قادماً من الجحيم.

ها إنّني، إنّني في البيت،

أَنتظرُ الرّقص على حدّ أُغنيّة

ستُؤْلُني من الفرح.

وجهُك المسئُولُ عنْ بهجتنا
كأجملِ ما تُحقّقهُ الحياةُ من الحدائق.
قلبُك الخالدُ في قلب كلِّ زهرة.
كلماتُك التي يَشربُها الماءُ بلهفةٍ عند كُلِّ ظمأٍ
للجداول.
كلماتُك التي نأكُلُها تُفّاحةً حين تقولُ الحُبَّ.
بحرفينِ تصنعُ المُعجزةَ، وتُباهي بالأساريرِ.
إيمانكِ بالعُشْب لتربية القصائد، وتعليمِ الأباليسِ
الرّسم بالنّار.
أنتَ
غنيّةٌ ورسُولةُ مَوضُوعِ الأشجار.

أنتِ.

لمْ تعُدْ في الخُرطوم وردةٌ عاطلةٌ عَن اليأس.
لمْ يعدْ بين يديَ لأكتبَه، وأشحَذ الليالي
بالذكريات.
لمْ تعُدْ تحيّةُ الرّجال تَملأُ الصّدُورَ بالمَلد.
لمْ يعدْ «أمل دُنقل» يصرُخ: لا.
لمْ تعُد الجاذبيّةُ جاذبةً للأطفال.
لمْ تعُدْ البناتُ قاسيات كما كُنّ،
ولا رسُولاتٌ ككيدهنَّ يَكْسِرنَ المسافةَ بالقُبَل.
لمْ أعُدْ في الدُمُوع، في المَركب السّائل للأمل.
لمْ يعدْ «إبراهيم عوَض» يفتحُ ليلةً على النّهَر.
لمْ يعُدْ القلبُ غامضاً كما عهدَتْهُ المحبّةُ،
ولا الجسدُ يركُضُ في ميدان الحرّية؛
بخِفّة خيالٍ بَرّيّ.

لمْ يعُدْ الموتُ غامضاً

لنُغادرَ الحياة باحترام،
ولا الحياةُ كافيةً
لنعرفَ
الموت.

بجانبي
أيّتها الجوْهريّةُ اليد،
يا جاهزةَ الأغاني في أيّة لحظة.
سألتُك الماءَ منْ عينيك،
سألتُك آخرَ لقْمة للطير كي ينام.
سألتُك جسدي يتمطى على دائرة الضّوء الذي
بيديْك تخلُقينَ.
سألتك نفَساً كيْ أطيّرَ إلى الجنّة.
سألتُك كأنّني أكلّمُ طفليَ الخاصّ بنفْسي.
كأنّني أعمى، وأتحسّسُ بيديك العالَم.
بجانبي دائماً أيّتها القطّةُ،
تشْربينَ لبَني، وتنامينَ في حجْري.

أنت شرّيرةٌ
عضّيني خفيفاً على قدَمايَ- شمّي الظّهيرة،

وارْقُصي على ناري!
ما سألتُك نعمةً غيرَ دمعةٍ تَكبُرُ فيها البُحيرةُ،
ويَتأنْسَنُ البُستانُ.
ما سألتُك يا إجابتي لله يومَ كلِّ سؤال؛
**يا شرّيرة.**

حلُمتُ بالسرير مَقتُولاً بثِقلي،
بالمُلاءة تَذهبُ معنا إلى المقابر (طَرَفَ الحُلْم).
قالتْ: إبرةُ الرُّوح هيَ السّبَب.
قلتُ: الوِسادةُ الطاعنةُ الاسْمِ من الإِهمال.
هذا ما اختلَفْنا فيه
أثناءَ الدّفْن.

هبّتِ القصيدةُ..
طارتِ الصّورةُ الوحيدةُ الخضراءُ؛
حطّتْ على صدْرِ أُنثى
خارجةً للتوِّ من المعنى.

**آهِ لو كنتُ شاعراً**
**آه.**

مرّةً كنتُ زهرةً سريّةً؛
أتفتّحُ منْ بين المُغْلق كلّ يوم وأُعانقُ العالم.
أتفتّحُ.. وتَدُوسُني قَدَمٌ بشريّةٌ
أتفتّحُ.. وتدُوسُني القَدَمُ.
حين قرّرْتُ أنْ أنتقمَ؛
صرتُ
بشريّاً.

أَولادُ الدُّنيا
يَلعبونَ الأَرضَ مع البنات.
ثمّةَ مُتْعةٌ فقطْ،
ولعبٌ نظيفٌ.
ثمّةَ أَهدافٌ مِنْ أَجْلِ جماهيرِ المُستقبَل.

المدينةُ عاريةٌ..

الشّارعُ الّذي يُفضي بكَ إلى الآخرين مريضٌ

أنتَ مُكدّسٌ بلا أحد

في ثغرةِ اللغة؛
ثمّةَ كلمةٌ يُمكنُ أنْ تعبُرَ بها إلى العالم،
ليس من حديثٍ مهْما كانَ ركيكًا.
هنالك صمتٌ،
هنالك كينونةٌ تتعرّى،
هنالك ذاتُكَ ذاتُها في الأساطيرِ تَنمو،
هُنالكَ أناكَ،
حيث لا كلمةٌ غيرُ الكلمةِ في الفضاءِ اللُغويّ؛
تتنفّسُها وتتنفّسُك

أنتَ
واحدٌ.

فِي كُلِّ رُكْنٍ مِن العالَم،
غُرْبَةٌ هائلة..
أَتذكّرُ إذْ أَتناسى الحياةَ بقُربي؛
أَنّ قلبي
سيأْوِي اللّاجئينَ
مِنْ كلِّ لونٍ وكَونٍ،
وأَنَّ الأَكاذيبَ تَصنعُ شكْلَ الحقيقةِ
في اللحظةِ الماثلة.

أَتذكّرُ
رُوحي.

سأرى
الحريقَ ولا ماء،
والشّاعرَ الشّهْمَ يملأُ بُستانهُ بالخَسارات.

ما عادَ حقٌّ يُقالُ
سوى ما تقولُ الجنَازاتُ محمُولةً بالهَوائيّات،
ومَدفُونةٌ في الهُويّة.

سأرى
ما يلي: الدّماء.

اختلفْ معي

في لونِ الماء؛

ولكنْ حين تُلاقيني..

لا تُسلِّمْ عليَّ بيدٍ باردة!

اختلفْ معي

في طعمِ ما أكلناهُ يوماً سويّاً؛

ولكنْ حين تُقابلني..

شُمَّ رائحةَ الأمسِ على الأذنَ!

اختلفْ معي

في معنى الجملة؛

ولكنّ حين نذهبُ بعيداً..

لا تسْؤني بكَلمة!

اختلفْ معي

في طريقة الرّأي؛

ولكنْ حين ألقاكَ.. عانقني!

كانَ يمشي وحدَهُ..
ظلّلتْهُ غمامةُ الذكرى،
فغنّى طُول مشوار الضُحى في الناس.
غنّى نفسَهُ، نبكى منْ فرحة في كاس.
كانَ يقولُ: إنّ أجملَ ما يُعاشُ الحُبُ،
وأصدقَ ما يحيا به: الشّعرُ البسيطُ
على الوجود..

كان يمشي وحدَهُ،
فتجمهرَتْ فيه النّساءُ بقلبِهِنّ.
بكَى غزيراً
كُلّ واحدة لدَيْها.
تذكّرَ غُرفةً كُسرتْ من النّشوات.
واحدةً تمنّتْ كأسَها الأُولى على يدِهِ،
وأُخرى ما تزالُ تمشّطُ الذكرى

على اليْنبوع.
تذكّرَ لُؤلؤَ الشُبّاك
في أَبديّةِ صدرِها العاري، وحقّاً ضاعَ في الدُّنيا.

تذكّرَ رمْلَ واحدة
على صوتِ أغانيِّ البنات
«الجميلاتِ في مَكتبِ الأمْن واللّاجئين».
تذكّرَ الحائطَ المَحْشوَ بالحَصوات،
واللّيمُونَ يَنتظرُ الشّرابَ على يدَيْها.
تذكّرَ أنّهُ سيموتُ بعد قليلٍ ذِكْرى؛
فكَفَّ
عَن الحياة.

# إلى: فيصل العَجَب

لمرّات

ومرّات

قابلتُ موتي..

سلّمتُ عليه وسَلّمْ.

جمَرات

جَمَرات.

وحين فقدتُ صوتي.. تألّمْ.

فصبّ عليّ

الذكريات..

حتى انتعشْتُ بها وعشْتُ.

فصحتُ: يا ويْلي أنا منّي.

ويا وَلَهَ الحياة!

أقرأ النسيان
من خطوط الذاكرة.
أقرأ وجهك
من صفحة البحر في الليل.
أقرأ كفك
من أطلس العالم القديم.
أقرأ وطني
من كتاب العمر.
أقرأ عمري
من سطر الحياة الأخير.
أقرأ الحياة
كآخر جملة من فمك

أعرف هذا العالم فرداً فرداً..
أسائلهم بالشبه لوطني الأول

فِي كلِّ خَفْقَةْ.

كلُّ فردٍ بلدٌ بكامله مِنْ طينِ اللهِ ودَفْقَةْ.

أعرفُ هذا العالَمَ

شارعاً

شارعاً..

أعرفُ الذين يَدفقونَ ماءَ الغسيلِ على شَهَواتِهِمْ،

والذين يَنامونَ بِلا أحلامٍ تُغطِّيهِمْ مِن الموتِ..

أعرفُ العالَمَ هذا

حَجَراً

حَجَراً..

أعرفُ العَقْرَبَةَ الوَطَنيّةَ، والذّهبَ الوَحْشيَّ،

وأعرفُ الانتظارَ الأخْرَسَ.

أعرفُ العالَمَ

بيْتاً

بيْتاً..

لكنّي أتمنّى أنْ أعرِفَ،
في أيِّ سريرٍ
أرفعُ
وطني.

أَدُقُّ البابَ..

لا يَفتحُ القلبُ إنسانَهُ للغريب.

لا يَصيرُ الحبيب..

سوى البابِ نفسه،

يَفتحُ إنسانَهُ بدقّاتِ قلبِ الغياب.

لنْ
أكتُبَ الشّعْرَ فيها
(بلادي ستقتُلني إنْ علِمَتْ بالقصيدة)
فقطْ سأشرَبُها
كهواء ثُقْبٍ صغيرٍ
وأتركُها فارغة.

عَلى قَدَميكَ يَسيرُ العالَمُ،
تَتَعثّرُ في الخَطْوِ جبالٌ مِنْ شِدَّةِ رِدْفيكَ.
في عينيكِ بقايا أَندلُسٍ تَبزُغُ في طُرْفةٍ.
كمْ يُؤْلِمُني هذا الماءُ على شفتَيْكِ.

خضراءُ؛
وأرضُكِ تمشي في قلبي بهواءِ الحُبِّ.
بينَ يديكِ تجلسُ أمٌّ قديمةٌ وعُريانة؛
تُعلّمينها الكلامَ
(ليس منْ ضمنِ الكلماتِ – الحداثةُ )
على يديكِ
يَتمُّ اكتشافُ الحُبِّ لأوّلِ مرّة.
وكأيّنْ منْ قمرِ طُفُوليَّ على أنفكِ،
وأجلسُ لأتعلّمَ الرّقصَ على يديْ ليلكِ،
أتعلّمَ الغَرَق.

كلُّ امرأةٍ
هيَ كَنزٌ لَمْ يُكتَشَفْ.

مِنْ كلِّ سُودانيِّ المَلاهي..
فارْزُقْ سواعِدَنا بأثقالِ الحياة!

وما لحياتنا
سَقْفٌ

وناءِ.

لمْ أكُنْ تلميذاً يوماً في المُوسيقى.
كنتُ عاشقاً ماهراً في العزْف على السّلالم.
كانَ قلبي يُجيدُ الرّقصَ
في الخَفْقِ الصّامتِ للحُبّ.

آهةٌ تكفي البيانو
ليبدأ العالمُ في التّناغُم.
جسدُكِ نوتتي، وأنا أعزفُ على أعصابي،
على الذكريات كلّها في لمْسةٍ خاطفة.

فِي الضَّوضاء أَنامُ عميقاً؛
لأنِّي لا أَسمَعُ أَحَداً.

تقوّستِ الذكرياتُ على ظَهرِهِ..
رَجُلٌ يَبني بيتهُ مِنْ حمْلِ أثقالِ الذّرة.
رجلٌ طيّبُ الأشجارِ
لوْ أنّ المعاني تُشترَى.
بالأمسِ ماتَ؛
مُخلّفاً في هذه الدنيا: «بعْرِ الحمارِ»
و«شافعين»
وزوجةً مطْواعةً،
وقصيدةً للآخرة.

يُضاءُ الطريقُ إلى الله؛
بقفْلِ جميعِ المَنافذِ في الرّوحِ،
وتقبيلِ هذي الشِّفاه.

الصبيّةُ ذاتُ الجناحين ركَتْ أمامي،

وركَتْ برمْشي الجهاتُ،

ركَتْ رغبةُ الرّيشِ قلبي،

ردَّ غُصنٌ على الطيرِ،

وصلّوا جميعاً

لعينينِ سودانيّين:

في غابةِ النّورِ

والأغنيةْ.

يا أمراضي بكِ،
أيّتها الأرضُ الضّعيفةُ الإنسان.
يا حبيبتي الصّبُورةُ لهذه الدّرجة من الأطفال..
أمس عرفتُ أنّك مستديرة.
كلُّ هذا الذي بيننا منْ دوائر؛ وأنتِ تُخبّئينَ عنّي
قصيدةَ النّثر!!
لذا أحسستُ بالخيانة،
وباللّذة التي تَسبقُ العاصفةَ
بقُبلتَينِ صغيرتينِ على عَتَبةِ الباب.

كمْ أحببتُكِ أيّتها الأَرضُ!
فأنتِ أمراضي كلُّها،
وأنتِ الوحيدةُ منْ بين كلّ البنات؛
التي تُمسكُ بي منْ طرَفِ الكوكب.

وتَمنحُني اسْماً

بلا دليلٍ قاطع.

أَنت الوحيدةُ المتبقّيةُ لي منْ جسدي المريض،

وأَنت الوحيدة التي وعَدَتْني مِنْ بين كلِّ الذُنُوب؛

بأَنْ تَنُوبَ عنّي يومَ القَصيدة،

وأَنْ تُمثّلَني عنْ جَدارةٍ أَستحقُّها أَمام الله.

أَنا الرّجُل المقتولُ في بيتي تحت رايةِ النّساء،

أَنا الوحيدُ الذي زرعتْكِ في كفّي فصرْتِ خضراءَ

بفضْلِ قُبُلاتي،

وصرتِ حديقةً

كلُما قرّبتُها لقلبي

رأَيتُ الله.

رأَيتُ ما لا يَخطُرُ على قلب وردة.

رأَيتُ المَلاكَ يَنزِلُ تحت المُلاءة،

ورأَيتُ أَمراضي التي تمرضينَ بها.

أنت الوحيدةُ

لي.

# توضيح إلى شاعري المُفضّل: أُمّي

المُباشِرُ يَرفُقُ بِكَ؛
أيُّها الشّاعِرُ..
إذْ تتعثّرُ في الغُمُوضِ.
الكَلِمةُ.. ما الإضاءةُ خافتةٌ!
التّعبيرُ جَرَسٌ مُعلّقٌ في مَدخَلِ العبارة.
العبارةُ رُؤْيا الكَلِمة.
كما البيتُ في لوحةِ البيت؛
كلُّه في عَتْمة
الزّاوية.
لا تكْتُبْ كمَنْ يفتحُ البابَ وتَدخُلُ أُنثى الرِّجالِ!
لا كمَنْ يُودّعُ أحداً عند ضواحي الأبد.
اكتُبْ كمَنْ تُحبّهُ أُمّهُ الشّاعرة!
كمَنْ يَشربُ نفسَهُ عند شاي الصّباح.

ويذهبُ في المشيئة!
الكلماتُ مُلقاةٌ على قارعة البُستان،
والمُغنُّونَ يلتقطونَ المَعانيَ بلُطْف.
( هذه هيَ غنيمتُكَ أيُّها الشاعرُ )
فالكلماتُ تنجُو مِن الموت بأعجوبة.
هذا هُوَ كَنْزُكَ
أيُّها الشّقيُّ.
فاحترسْ! أمامَكَ حياةٌ بكاملها
في الحضيض.
أمامَكَ
الحياةُ
في
الحضيْض.
أمامَكَ: أنقاضُ الكلمات،
ورُكام القصائد ينمو..
إنْ شئتَ أنْ تصمتَ في لوحة
الحال

فاصمُتْ!

ولكنْ بتنسيقٍ سرّ مع الأُغنيات،
معْ أبَّهةِ المعنى،
معْ حُريّة أخرى الأمل.
لستُ أموت، كما لستُ أحيا..

يا لرُعب الذكريات برُمّتها!
لكنّ الحياة لنْ تنجوَ منّي.. هذه المرأة
القاتنة.

نسيتُ.. أيُّها الشاعر،
خُذْ قسطاً من الرّاحة في الموت!
لتشعُرَ أكثر، بعدُ، بالنّهر أعمقَ:
ستشعُرُ بالكلمات تسبحُ؛
فالشاعريّةُ تنمو حُرّةً في حُقول الجفاف.
خُذْ مُباشرةَ الحياة! خُذ الموتَ على عاتقك!
ستفهمْ من الأرض صوتَ القصيدة.

جلستُ أمامَ البحرِ..
لمْ أتأمّلِ الأبديةَ،
لمْ أُلاعبِ الموجةَ العاريةَ..
لمْ أتذكّرِ الحبَّ،
ولا تلكَ الرسائلِ.
لم أبكِ، لم أنتحرْ.
فقط.. تذكّرتُ أنَّ ورائيَ
**سيْرةً**
**لنْ تكتمِلْ.**

يا وطني أعْطني وطني!
إنّني أنشُدُ في العالَم حظّة..
وأعْطِني زمني كاملاً غير منقوصٍ،
ولَوْ مقدار حظةْ..!

لا يبدو الإنسانُ جميلاً
هذي الأيّام..
البذرةُ في الحقل،
والحياةُ على الباب تطلبُ الدّيون.
الرّجل الحارسُ
بابَ غرفة زوجته؛
وزوجتهُ بالدّاخل تحتضنُ الذّكرى.
الشاعرُ يدخلُ القصيدةَ
بكامل أناقته (مشنوقاً بربطة العُنُق)
والشّعرُ يضحكُ منْ هوْل المُصيبة.
لا يبدو الإنسان جميلاً
هذي الأيّام؛
لا يبدو.

## إلى عثمان بُشرى، رَسُولِ الظهيرةِ هذهِ.

اغفري لي
أيَّتها الأخطاءْ..
فلَسوفَ أرتكبُكِ مثل أيِّ شيءٍ عزيزٍ
على طُعْمِ الحياة،
ولَسوفَ أركَبُ فَداحتَكِ الجميلةَ
مثل حصانٍ أعمى،
وأرْكُلُ كُلَّ شيءٍ نبيل.
ليس بيْ حِكمةٌ،
ولنْ تُعطِّلَني مُراوَغةُ القلب
عنْ معاناة الأسرار.
أُحطِّمُ المجهولَ
وأقذِفُ سُيُولتي بِحِبْرٍ جافٍ.
فقط..

أَهّلِيني أيَّتها الأَخطاءُ

على استهْبالِ الحياة،

ومُقارَعة بُؤْسِ الذكريات قُبلةً بقُبلة!

ليس مِنْ أحدٍ سوايَ على هذا الحصان، أَعرفُ،

وأنا حزينٌ لذلك،

حزينٌ لأنّي حزين..

والحياةُ بعيدةٌ، بعيدةٌ حدّ لا يُمكِنُ اللحاقُ

بغُبارها الأعمى،

بسيْرتها الخالدة.

إذاً.. اسمحي لي

أيَّتها الأَخطاءُ،

أنْ أُقبِّلَ شهوتَك للظُّلمة!

وأنْ أَجعلَ الشيطانَ

رفيقي في سهرةِ الحياةِ الطويلة!

أيّتها الأخطاءُ..

كرّري نعْمةَ أنْ تكونَ كأسُكِ مُخْطِئةً دائماً،

ولا تُكرّري نَغمةَ النّدمِ على بابِكِ مرّتين!

ادْفعي بالرّيح. بالنار.

بالإمّحاءِ على كاملِ الشيء!

**صَوْتاً للإنسان**

**وصَوْتاً لصَنَمهِ المَجْهُول.**

**العالَمُ**

**يدُكِ مقرُوءةٌ بيدي.**

يدُكِ أطلسُ سريّ لِما يَخصُّني من حياة

يدُكِ مخدّةُ الحياة مِنْ ألَمِ الأرض

يدُكِ عُنوانُ السُّرور

يدُكِ زهرةُ الأرض الوحيدة

يدُكِ ما أشيرُ بهِ على أصدقائي

يدُكِ الوطنُ الذي أسمّيهِ وطني

يدُكِ عيادةُ أطفال

يدُكِ بحيرةُ رُعاة الأمل.

يدُكِ مَزرعةُ أوهام الوُجُوديّة

يدُكِ نهرُ الخُلودِ الرّيفيُّ

يدُكِ معلّمُ اللغة السّريّة للأشياء

يدُكِ جَبَلُ المُتمرّد

كهفُ العاشق

يدُكَ طابعةُ مناشيرَ ضدّ القُبح

يدُكَ خُبزةُ جائعِ الحُبّ

يدُكَ سينما العصُّور

يدُكَ كوبُ اللبنِ الأحمرِ لمريضِ الحنانِ

يدُكَ حديقةُ سُكارى وطنٍ مهجورٍ

يدُكَ ميدانُ جماهيرِ التّغيير

يدُكَ مسرحٌ مُحتشدٌ بأسرارِ البنات

يدُكَ بركةُ شيخِ السُّودان

**يدُكَ العالمُ**

**مقروءٌ بيدِي.**

ياااا.. بعدَ كلِّ هذا العُمْر..
أدركْتُ أنّ الشّمسَ لا تأتي في النّهار؛
الشمسُ تأتي بالنّهار.

لَمْ يكُنْ وليدَ صُدفة
أَنْ أموتَ، أمسِ، أمام النّافذة.
لَمْ يكُنْ صُدفةً
أَنْ أفتحَ العالمَ؛
وأَنا أُغلقُ النّافذة.

الطفلةُ التي أَهدتْني لها الطفلةُ
في الشارع العام..
نبّهتْني أنّ الطفلةَ التي أَهدتْني
لها الطفلةُ،
تفتقدُ الانسجام

أَعرِفُ الجُذُورَ

لكنَّني، بعْدُ،

لمْ أَعرِفِ الأَشجار.

سـأكونُ هنا جالساً بانتظارك،
ستأتينَ بعد قرْن.
أقولُ لك: كوبَ شاي!
ستأتينَ بعد قرْن، وبيدك كوبُ شاي.
أقولُ لكِ: بعضَ سُكّر!
ستأتين بعد قرن، وبيدكِ ملْعَقةُ سُكّر.
أُذوِّبُ السُّكَّرَ في الشّاي،
والعُمُرَ في جلستِك قُربي؛
لِنشْربَ اللحظةَ
الخالدة.

أدعوكِ، أيّتها الأرضُ
أنْ تتوسّدي صدري، مُعجزةَ الألَم
إنّه ثقيلٌ ثقيل،
ولا يأبهُ بكلّ هذي المراعي الكاذبة.
سيفرحُ صدري بكِ،
طالما أنت في طَور التّجربة.
أيّتها الصغيرةُ دائماً عن الإنسان.
أيّتها الأرضُ،
كُوني مُمسكةً بيديْ.. كيْ لا أقفز.

أشتاقُ خطَّ يدي

ندمي ( نهرِ الأبْيض )

يتهادَى فوق سُهُول الأشواق .

أشتاقُ لِمَنْ أكتُبهُ وأكاتبه

بالحُبِّ أعذّبهُ ؟

هلْ منْ أحدٍ يكاتبُني .. يا خطَّ يدي !

حين جاءتْ وشفافةً جلسَتْ بقُربي..

صارَ كلُّ شيءٍ مُبْتلاً:

البيتُ بحُفْرةِ الدُّخانِ،

الذكرياتُ بزيتِ المشاويرِ،

الليلُ بدُمُوعِ الشُّبَّاكِ الزُّجاجيِّ المُتكسّرِ،

القلبُ بعرَقِ الضَّرَباتِ،

السماءُ بنجمةٍ تبكي،

المُلاءةُ بلَبَنِ الشَّهْوةِ،

الجسدُ بنهرِ الغسيلِ،

الرُّوحُ بخُمْرةِ مريمَ،

مريمُ بالحنانِ،

صديقي برغبتهِ في الحياةِ،

وأنا بالأملِ.

سوفَ تكونينَ خالصةً في البيتِ؛
جالسةً بالحُبّ قُربَ الذكريات..
ستحكينَ، صامتةً، عن القهوة التي دائماً بيننا؛
ستحكين عنْ أوّلِ ليلة في الخريف (يا إلهي!)
وعنْ تدافعِ الأشواقِ قُرْبَ الباب.
ستسمعينَ دقّاتِ قلبكِ لاهثةً،
وكأنّها تُلاحقُ الليالي الشاردة.
ستنْسينَ للحظة كلَّ ما جرَى في العالمِ مِنْ ألمٍ.
ستُشعلينَ مَوْقدَ الحنانِ،
وتدخُلينَ في المَواجد الكثيرة.
ستنامينَ تحت ظِلِّ مَقْطعِ أُغنيةٍ،
وتَعلمينَ بنا في (الغرْبة)
ستقرئينَ معي الجداولَ الصغيرةَ للأبديّة
(أجملُ ما قرأتُ من الحبِّ وجهُكِ
أكملُهُ صدرُ الحنانِ)

ستحلمينَ بالرّقصِ في المياه العارية،
سترقُصينَ في مياهي،
ستجرينَ فوق الرّمل، وتَصرُخينَ
من الدّاخل بالحُريّة، بالإنسان العاشق.
ستبكينَ منْ حرارة هَوْل الحُبّ
حتى تُبلّلينَ الذّكريات بدمعكِ المُقدّسِ
ستقولينَ لنفْسك: يا للولَه!!
ستُصَلّينَ حياتينِ كاملتَين منْ أجلنا
لكأنّ الموتَ
لا يَعرفُ
العالَم.

يَنهضُ الشَّعْرُ في أَوَّل الفجرِ،

يُفجّرُ رُوحَه، يَستنشقُ الحسَّ، يَسْتحِمّ بِلَذّتهِ،

يَخرُجُ عارِيَاً للشوارع، عارياً كالشّعْر.

يَصعَدُ غيمةَ ذاته، يَطيرُ مع النّسائم،

يَهبطُ الماءَ

يَستلقي مُنتشياً بالذكريات على امتداد الساحلِ،

يَتغلغلُ في الرّمل، يُقبِّلُ الكلماتِ،

يَبكي كثيراً

كثيراً كثيراً..

وحين يتذكّرُ فجأةً قصائدَهُ الضائعة

يَصرُخُ: أينَ الإنسان ؟!

قالَ لي الموتُ:
حدّثني ( عبدُ المكرّم أحمد )
أنّهُ حيّ ويُرزَقُ بالنّقْد،
والنّقْض والأسئلة.
قالتْ لي الحياةُ: حدّثني ( عبد المكرّم أحمد )
أنّه يَتغلغلُ عند كلّ جَمالٍ
إلى الأصدقاء..
في الليل يَتوهّطُ ونَساتهمْ،
ويُؤَكّدُهمْ في المَدارات.
قالتْ لي الأرضُ:
حدّثني ( عبد المُكرّم أَحمد ) بالمَعْركة.

قالَ عقلي: تَعلّمْ!

قال قلبي : القصيدة!

زهرةُ الشاعر:
جَدْولُ ضَوءٍ أخضر
في يدِ العاشق..
بِرْكةُ دمعةٍ لُؤلُؤيةٍ
في قلبه،
ومعْ ذلك.. **زهرةُ الشاعر**

البْنَيّاتُ يَنتظِرْنَ خلفَ البابِ،
شُمسَهنَّ المُطْفَأةَ..
أَلَمْ يُدرِكِ حتى الآنَ ما معنى امرأةٍ؟

لئلّا ينامَ الشُّعراء..

يَنبغي قُبُلاتٌ في الطريقِ العام

(عاشقٌ مرّ أمامَ البنتِ،

فاستنزفَ عُمرًا)

ينبغي كأسٌ للمساء

هَذَيانٌ،

أصدقاءُ،

وسريرٌ لا يَنام.

لئلّا ينامَ الشُّعراء..

ينبغي وطنٌ مُضيءٌ،

وأمكنةٌ تُضيءُ الأرضَ مِن تحتِ الرُّكام.

ينبغي أُفُقٌ بعيدٌ

جاهلٌ أسفارَهُ،

ثُمَّ ليلٌ مشتعلٌ بالذكرى.

ثمّ ماءٌ يائِسٌ منْ نهْرِهِ،
وعُشبٌ عارِفٌ بالحقل.
ينبغي جسدٌ يُحرِّكُ هذه الدّنيا
إلى أعلى الظلام..

لئلّا
ينامُ الشّعراء.

قالتْ له العاشقة: لا تَخُنّي !

قالَ: الذكرياتُ عاريةٌ تستحمُ بماء القُبَل.

قالتْ له. لا تخُنّي !

قالَ: وأقسمُ بالذكرياتِ

قالتْ له: لا تخُنّي !

قالَ: وأنتِ ؟

(لمْ تقُلْ)

كنتُ نائماً

كمْ مرّ على العالَمِ منْ قتيلٍ؛
أيُّها الأحبابُ؟!
كنتُ نائماً أَحلُمُ
كمْ مرّ على الحُبِّ منْ عاشقٍ..
أيُّها القَتَلة؟!

سأجرّبُ الصّيفَ،

العَرَقَ اللّامع في طُقُوس المحبّة،

حيثُ الموتُ يلهثُ

تحت الغطاء،

والأبديّة عارية تحت رغبة عارية..

سأجرّبُ الموتَ

ولو مرّةً

واحدة.

(1)

عاشقٌ وعاشقةٌ..

قُربَ المُستشفى

يَشعُرانِ بالأبديّة،

يَمْرَضانِ بطُمأْنينةٍ بالغةِ الخَفَقان.

(2)

عاشقةٌ وعاشقٌ..

يَدخُلانِ المُستشفى

لسببٍ بسيطٍ: حُمّى التَماسُك.

(3)

عاشقٌ وعاشقةٌ..

في المستشفى

يُمرِّضانِ طبيبةَ السريرِ

يتمرّضانِ لأملٍ فادحٍ.

(4)

عاشقةٌ وعاشقٌ..

قبرٌ

سائلٌ.

الحنانُ الذي يَصعُبُ وَصْفُه للأولاد،
الحنانُ المَشغُولُ بمسؤولياته الكثيرةِ في البيت؛
على عاتقِ الحياة.
الحنانُ الإنسانُ.
الشَّجرُ الذي لنْ يتعلَّمَ الخيانةَ،
ولنْ يَترُكَ أبداً في شغَفِ حياته بالآخرين.
الحنانُ الذي يبكي الحنان.
الحنانُ في الصَّدْرِ، برُمَّتِه، في الصَّدر.
الحنانُ
ربّما سيُغادرُنا الليلةَ
إلى مُستشفى عناوينه

الشِّعرُ: رَغبةُ خائنيهِ في الحُبّ.
الشِّعرُ: مَشْنقةُ الطَّيرِ،
حديقةُ الأكاذيبِ الصّابرةِ على المعنى،
لقيطُ الذكريات.

يا شعرُ كُنّي وخُنّي!

**أَنا لمْ أَحْيَ بعْدُ.**

الحبُّ خليقٌ بالمرضى،

بالمجانين، بالتُّعساء،

بي – إنْ أمعنتُ في القتل.

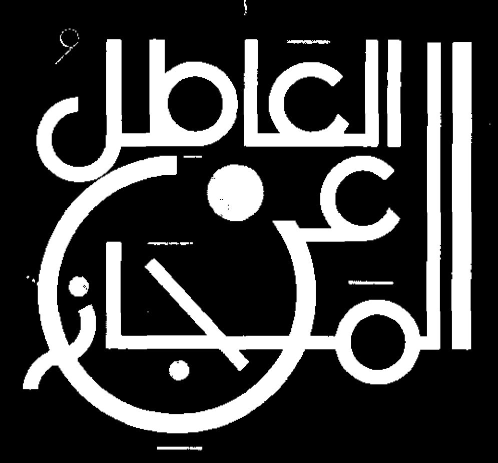
الحبُّ: قلبي يرمي الخفافَ بالليمون.

الفقرُ: اقتصادُ النّعمة،
نعمةُ اقتصاد الحاكم،
زميلُ الرّياضاتِ في بلدي.
الفقرُ:
شاعرُ النّثْر،
وفيلسوفُ البُنُوك.




لا لإحتكـار
الكتب السودانيـة

بابكر الوسيلة سر الختم




سينتصر الشعر يوما علي

فيا مريم

افتحي فما

لتمتلىء الارض بالقبل الخريفية

حتى خرير الصور .

سينتصر الشعر يوما على قاتل؛

............ ولابد للقيد ان ينكسر .






كتاب الشاعر المتجول

(2017 - 2016)